تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر

طرقه وبلاغته

الأستاذ الدكتور

لطفي خالد محمود الجوهري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية – بنين – بالشرقية

ملخص البحث

تنزيلات اللغة العربية ومتلفتاتها كثيرة ومتعددة، ومن بين تلك التنـــزيلات الرائقة تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر، ويمتاز هذا اللون البلاغي بكثـــرة طرقه ،ولكل طريقة مذاقها الخاص، وهذا البحث محاولة لجمع تلك الطـــرق، ليسهل لدى القارئ أن يتصور الطاقة الكامنة والخيط الرفيـــع بـــين التراكيـــب المتعددة، وبعد البحث تبين أن تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر قد يأتي عن طريق التعبير بالفعل المضارع فيما ليس بحاضر لتنزيله منزلته، وقد يأتي عن طريق التعبير بالوصف المشتق الصالح للدلالة على زمن الحال الحاضرة فيما ليس بحاضر لتنزيله منزلته، ويأتي عن طريق الإشارة إلى ما لـــيس بحاضـــر لتنزيله منزلته، ويأتي عن طريق التعجب أو التعجيب مما ليس بحاضر لتنزيله منزلته، ويأتي عن طريق خطاب ما ليس بحاضر لتنزيله منزلته ،كمـــا يـــأتي عن طريق الحذف، وبتتبع تك الطرق المتنوعـــة والوقـــوف مـــع شـــواهدها بالدراسة والتحليل تكشف بعض ما يكمـــن وراء التعبيـــر بهـــا مـــن أســـرار ودلالات، وهذا بدوره يبين عن أن طاقات اللغة التـــي أودعهـــا الله ﷻ فيهـــا غزيرة ومتعددة.

Summary

Arabic language downloads and illustration are many and varied, it is one of those wonderful downloads that are not present in the present, this color is characterized by the abundance of its methods and each way its own taste ,this research is an attempt to collect these methods to make it easier for the reader to visualize the potential energy and the fine thread between multiple structures ,After the research shows that download of the present presents tutus comes through the expression already present , not present to download his status, and comes through expression is derived derivative to indicate the time of the present case while not present to download his status, and follow the ways of standing with the evidence of the study and analysis reveal some of the underlying secrets and indication that show that the energies of the language and abilities that were deposited by god – attribution for –where abundant and varied .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل ذكره طريقاً يستحضر به العبد الخشية في قلبه لربه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ صلاة نستحضر بها حبه، وننال بها شرف شفاعته يوم تزل الأقدام.

وبعد:

فمما يعجب ويروق في لغتنا الفذة عدم سيرها على نمط واحد في التراكيب، بل تتعدد وتتنوع في الدلالة على المعنى، ولا شك أن لكل تركيب مذاقه الخاص المتميز عن غيره، إذ يكمن تَميُّز كل تركيب وتفرده فيما يحمله من طاقات دلالية.

ولمَّا كان الكلام يتشكل ويتلَّون وفق نفس المتكلم، والنفس تحب وتكره، وتشتاق وتمل، وتفرح وتحزن، وتعجل حيناً، وتتريث أخرى، رأينا الكلام يختلف باختلاف أحوالها، وكان إحدى طاقات تلك اللغة كثرة تنزيلاتها وتلفتاتها، ولذا يقول العلامة ابن جني:" وكلام العرب كثير الانحرافات ولطيف المقاصد والجهات، وأعذب ما فيه تلفته وتثنيه. " (١) ولذا نرى في اللغة أنه قد ينزل القريب منزلة البعيد، وينزل البعيد منزلة القريب، وينزل المنكر منزلة غير المنكر، وينزل غير المنكر منزلة المنكر، وينزل غير الممكن منزلة الممكن، وينزل الممكن منزلة غير الممكن، وينزل غير الحاضر منزلة

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جنى الموصلى ٢/ ٩٨ وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الحاضر، وينزل الحاضر منزلة غير الحاضر، إلى آخر تلك التنزيلات والانحرافات العجيبة الرائقة الساحرة.

ومن بين تلك التنزيلات على تعددها وكثرتها اخترت تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر ليكون محل الدراسة في هذا البحث ويمكن إيجاز الأسباب التي حدت بي نحو دراسة هذا الموضوع في النقاط التالية:

١- طرافة الموضوع، إذ كيف ينزل غير الحاضر منزلة الحاضر؟!

٢- ما يمتاز به تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر من كثرة صوره وطرائقه.

٣- رغبة الباحث في التعرف على ما يمتاز به كل طريقة من طرائقه.

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة وفهارس.

ففي المقدمة: بينت الأسباب التي كانت وراء تلك الدراسة، كما ذكرت الخطة التي قام عليها البحث.

وفي التمهيد: وقفة مع عنوان البحث.

ثم تناولت المباحث الصور والطرائق التي يرد عليها تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر، وذلك في ستة مباحث مرتبة كالتالي.

المبحث الأول: التعبير بالمضارع عما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.

المبحث الثاني: التعبير بالوصف المشتق الدال على زمن الحال عمَّا ليس بحاضر لتنزيله مزلته.

المبحث الثالث: الإشارة إلى ما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.

المبحث الرابع: التعجب مما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.

المبحث الخامس: خطاب ما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.

المبحث السادس: تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر بطريق الحذف.

هذا، " وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

وصلَّ اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

التمهيد

وقفة مع عنوان البحث.

يقال: نَزَّل القوم: أنزلهم المنازل.

والمنزل والمنزلة: موضع النزول، والمنزلة: الرتبة

وقالوا: هو منِّى منزلة الشَّغَاف: أي هو بتلك المنزلة.(١)

وفي حديث ميراث الجد: أن أبا بكر أنزله أباً أي جعله في منزلة الأب، وأعطاه نصيبه من الميراث.(٢)

ويقول صاحب مواهب الفتاح:" وأصل التنزيل تشبيه الشيء بالشيء"(٣)

وحَضَرَ كنَصَرَ، عَلِمَ، حضوراً وحضارة: ضد غاب، والحضور نقيض المغيب والغيبة، وهو حاضر من حُضَّر وحضور.(٤)

والحاضرة والحاضر: الحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم، والحاضر ضد المسافر، وحسن الحضِرة بالكسر إذا حضر بخير وكنا بحضرة ماء: أي عنده، وبحضرة فلان ويحضر منه أي بمشهد منه.(٥)

---

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور مدة : نزل، دار المعارف.

(٢) ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف/ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي١٩/١٢ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة – بيروت.

(٣) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لأبى العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربى ١/ ٤٤٥، ٤٤٦ تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ.

(٤) ينظر لسان العرب مادة حضر.

(٥) ينظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار مادة : حضر دار الدعوة.

والزمن الحاضر: يبين الماضي والمستقبل، ويقال فلان حاضر الجواب: سريع الإتيان به وحاضر البديهة: سريع الخاطر. (١)

مما سبق يُعلِم أن الذي ينزل غير الحاضر منزلة الحاضر إنما يقصد أن يشبه الشيء غير الموجود بالشيء الموجود المشاهد، للإشعار بأن هذا الشيء قد بلغ درجة عظيمة عند المتكلم من الظهور والوضوح والتأكيد فشبهه بالشيء المشاهد الموجود، أو للإشعار بأن الحدث غير الواقع قد بلغ درجة من الغرابة تستدعي تشبيهه بالحدث الواقع المشاهد كي يتصوره المخاطب، ويتخيله.

كان العرب بفطرتهم يصورون أحداثهم ومعاركهم ليستحضرها المخاطب حتى يستطيع أن يدرك هولها وشدتها، وكأنه بين الصفوف يسمع ويرى.

فالعرب وخاصَّة الأديب إذا تعذر عليه استحضار الذات المطلوبة بالحسِّ لجأ إلى استحضارها بشتى الوسائل، وليس اهتمام الشعراء قديماً بالأطلال والوقوف على الديار إلا محاولة منهم لاستحضار من جمعتهم بهم تلك الأماكن. (٢)

إن المتكلم حينما ينزل الشيء منزلة ضده فإنما يريد أن يصبغ عليه من نفسه وروحه ألواناً خاصة نابعة من رؤيته له، وتصوره في فؤاده، فيرينا إياه وقد كساه حُلَّة جديدة، فيروقنا؛ لأننا نراه بشكل مختلف جديد لم نألفه عليه، وهو بذلك يباغت نفس المتلقى بما لم تتهيأ له، ويفاجئها بما لم تتوقعه، فيقع منها موقعاً حسناً، وينال منها على حين غِرَّة ما لم ينله سواه.

ولذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني:" ومبنى الطباع، وموضوع الجِبِلَّة على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه، وخرج من موضع

(١) ينظر المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار مادة : حضر دار الدعوة.

(٢) ينظر التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد الطاهرين عاشور ٢/ ٣١ دار سحنون – تونس.

ليس بمعدن له كانت صبابَةَ النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر، فسواء في إثارة التعجب، وإخراجك إلى روعة المستغرب، وجودك الشيء من مكان ليس من أمكنته ووجود شيء لم يوجد ولم يعرف في ذاته وصفته. " [١]

فالشيء عندما يكون غائباً وتخرجه مخرج الحاضر فأنت تريه للمخاطب بشكل جديد لم يألفه، ولم يعهده، وكأن من يفعل ذلك يتمثل قول الشاعر:[٢]

أيا غائباً حاضراً في الفؤاد سلامٌ على الغائب الحاضر

كما أن الشيء عندما لا يكون واقعاً وتخرجه مخرج الواقع المشاهد فإن له موقعاً جليلاً في النفس.

إن ذلك الصنيع يرينا كيف تتصارع المشاعر داخل النفس، وكيف أن ذلك المشهد المستور، أو الشخص الغائب قد سيطر عليها ولا يغيب عن خاطرها، فتقفز فوق الزمان والمكان تطلب حضوره ومشاهدته.

ولنا أن نتأمل قول مالك بن الريب:[٣]

دعاني الهوى من أهل ودّي وصحبتي بذي الطّبَسَيْن فالتفت ورائيا

لنراه كيف أحضر بخياله داعيًا، وسمع له نداءً قوياً، فاستجاب له والتفت وراءه.

لا شك أن تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر أحد طاقات تلك اللغة المبدعة الساحرة التي تحيل السرد الصامت إلى حَيٍّ نابض ناطق.

---

(١) أسرار البلاغة تأليف الشيخ الإمام/ أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوى ص/ ١٣١ قرأه وعلق عليه/ أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٢)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام الشنترينى ٨/ ٥٢٣ تحقيق د/ إحسان عباس الدار العربية للكتاب – تونس، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

(٣)جمهرة أشعار العرب المؤلف/ أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشى١/ ٦٠٨ حققه وضبطه وزاد في شرحه/ على محمد البجاوي نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

المبحث الأول
التعبير بالفعل المضارع عمَّا ليس بحاضر لتنزيله منزلته

الفعل المضارع صالح للدلالة على الحال أو الاستقبال الذي يبدأ بعد زمن التكلم مباشرة [١]، ومن ثمَّ كان التعبير به عمَّا ليس بحاضر له مغزاه في تنزيله منزلة الحاضر، ودلالته في استحضار تلك الصورة في ذهن السامع فكأنه يراها ويشاهدها.

لذا يقول عصام الدين الحنفي:" لأن في التعبير بالمضارع الموضوع للحال تصويرًا للماضي بصورة الحاضر بين يدى المخاطب.."[٢]

كما يقول ابن الأثير:" اعلم أن الفعل المضارع إذا أتى به في حال الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها." [٣]

ويقول ابن يعقوب المغربي:" المضارع يدل على الحال المشاهد، فقد يستعمل للإشعار بالحضور الذي هو الأصل، وللتنبيه بالعبارة على الشهود، فكأنه يقال – عند التعبير به –:اشهدوا هذا الأمر الذي نحضره بالتعبير بما

---

(١) ينظر النحو الوافي تأليف أ/ عباس حسن ٤٦/١ دار المعارف الطبعة الثانية عشر.

(٢) الأطوال شرح تلخيص مفتاح العلوم تأليف العلامة/ إبراهيم بن محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي٤٨٦/١ حققه وعلق عليه د/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف/ ضياء الدين نصر الله بن أبى الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزرى ١/ ٤١٦ حققه وعلق عليه الشيخ/ كامل محمد محمد عويضة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

يدل على الحضور، وإنما يفعل ذلك في الأمر الغريب أو الفظيع أو نحو ذلك كاللطيف العجيب." (١)

وأشار شهاب الدين الخفاجي إلى أن استعمال المضارع في هذا الموضع من قبيل المجاز.(٢)

وإذا أردنا أن نقف على ذلك فلنا أن نتأمل قول تأبط شرًا:(٣)

فإني قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلا دهش فخرت صريعًا لليدين وللجران

لنرى أنه قال:(فأضربها)، فجاء بالفعل المضارع، مع أن الضرب قد حدث في الزمن الماضي، لكنه أراد أن يصور لقومه الحال التي تشجع فيها

---

(١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح تأليف/ أبى العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي ١/ ٣٥١ تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م/١٤٢٤هـ

(٢) يصح أن يجعل من قبيل المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق والتقييد ؛ لأن المضارع موضوع للدلالة على الحال، ثم أريد به مطلق الدلالة على الزمن، ثم نقل من مطلق الدلالة على الزمن للدلالة على الماضي لعلاقة الإطلاق و التقييد. **ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسمى عناية القاضي وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي ٢٤/١ دار صادر – بيروت.**

كما يصح أن يجعل من قبيل الاستعارة التصريحية التبعية، حيث شبه المضارع بالماضي بجامع مطلق الدلالة على الزمن، ثم استعيرت المضارعة للمضى، ثم اشتق من المضارعة بمعنى المضى المضارع بمعني الماضي على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٣) ديوان تأبط شرًا وأخباره ص/ ٢٦٨ جمع وتحقيق وشرح/ على ذو الفقار شاكر دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ.

على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على ذلك الهول، وثباته عند تلك الشدة، ولو قال: (فضربتها) عطفًا على الأول لزالت تلك الفائدة. (١)

وكأن الشاعر بهذا الصنيع يريد أن يجعل هذا الحدث العجيب يحيا من جديد أمام عيني السامع، فكأنه يطوي به الزمن ليعود به إلى وقت حدوثه، فيطلعه عليه، ليتكشف أمامه فيشاهده.

وإنما كان الفعل المضارع أقدر على ذلك لما يثيره في نفس المخاطب من تخييل يجعله قادرًا على استحضار الصورة، ولذا يقول ابن الأثير:" فإن قيل:إن الفعل الماضي يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل، قلت في الجواب:إن التخيل يقع في الفعلين معًا، لكنه في أحدهما وهو المستقبل أوكد، وأشد تخييلاً؛ لأنه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه، ألا ترى لما قال تأبط شرًا:(فأضربها) تخيل السامع أنه مباشر للفعل، وأنه قائم بإزاء الغول، وقد رفع سيفه لضربها، وهذا لا يوجد في الفعل الماضي؛ لأنه يتخيل السامع منه إلا فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدَّال عليه، وهذا لا خلاف فيه." (٢)

والحدث عندما يكون عجيبًا رهيبا، أو مثيرًا غريبًا، أو مستنكرًا شنيعًا يأتي التعبير بالفعل المضارع لينزل هذا الحدث الغائب منزلة الحاضر المشاهد، ليستحضر بذلك صورته، ويزيل عنه الحجب، فكأنه ماثل شاخص تجري أحداثه بين عيني المخاطب ولذا يقول شهاب الدين الخفاجي:" المضارع

(١) ينظر المثل السائر ١/ ٤١٨.

(٢) المثل السائر ١/ ٤١٨.

لدلالته على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد قد يذكر ليستحضر به ما مضى فيستمر، ولا يفعل ذلك إلا بما يهتم بمشاهدته لغرابته أو فظاعته كما ذكر أهل المعنى."(١)

ومن ذلك قول الله ﷻ:" ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾(٢)

حيث جاء الفعل (أرسل) ماضيًا، بينما جاء الفعل (فتثير) مضارعًا، لاستحضار هذه الحال العجيبة التي تقع فيها إثارة الرياح بتنزيل الحدث الذي يدل عليه منزلة الحاضر؛ لأن المضارع بما يفيده من الدلالة على الحال ساعد الذهن على إدراك صورة تلك الإثارة، فجعلته يتخيلها أمامه، فيعجب لها، ولذا يقول الإمام الزمخشري:" فإن قلت:لِمَ جاء (فتثير) على المضارعة دون ما قبله، وما بعده؟ قلت:ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، ويستحضر تلك الصورة البديعية الدَّالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب، أو تَهُمُّ المخاطب أو غير ذلك." (٣)

ومن ثمَّ فقد جعل المضارع صورة الإثارة ماثلة حاضرة ينظر إليها السامع نظر البصر فيما يشاهده، ولذا يقول عصام الدين الحنفى:" وفي هذا التصوير جعله مخيلاً له ناظرًا له بعين الخيال نظر البصر فيما يشاهده، وبين

---

(١) حاشية الشهاب ١/٢٤.

(٢) سورة فاطر آية (٩).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام/ جارالله محمود بن عمر الزمخشرى ٣/ ٦٠١. مكتب الإعلام الإسلامي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

وجه اختيار ذلك في الإثارة دون جارية – يقصد الإرسال والإحياء – بأن في إثارة السحاب على الكيفيات المخصوصة إلى انطباقه على وجه السماء إظهار قدرة غالبه، بل نبه على أن التصوير بصورة الحال لا يكون إلا لأمر بديع يتحير فيه الناظر، ويشغله بمجامعه." (١)

وإنما كان ذلك الصنيع يحسن في الأمر العجيب الغريب البديع أو المستنكر الشنيع أو العظيم المستبعد؛ لأن النفس على حد قول ابن يعقوب المغربي تتسارع إلى إحضار العجيب بما أمكن (٢)، لأنها أشد ما تكون شوقًا إلى رؤيته، فإن لم تسعفها العينان أسعفها البيان والجنان.

ومن ذلك أيضًا قول الله – تبارك وتعالى – عن بني إسرائيل:﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾(٣)

تخبرنا تلك الآية الكريمة عن فظاعة حال بني إسرائيل مع رسلهم وفظاظتهم، إذ تكشف ما استمروا عليه من قبيح الفعل وشنيعه حيث كان ذلك مع جميع الرسل، وفي جميع الأوقات، فلم يفرقوا بين رسول وآخر، ولم يختلف حالهم على مرِّ الأزمان، فلقد استبدَّ بهم التكذيب والقتل وصارا سجيتين لهم لا تتخلفان عنهم.

---

(١) الأطول ١/ ٤٨٦.

(٢) ينظر مواهب الفتاح ١/٣٥١.

(٣) سورة المائدة آية ٧٠.

والمتأمل يلحظ مجيء الفعل (تقتلون) بصيغة المضارعة، وذلك لتنزيل تلك الحال العجيبة منزلة الحاضر المشاهد إبلاغًا في التعجيب من شناعة فاعليها.(١)

وإنما كان ذلك أدل على التعجيب من تلك الجريرة، والتشنيع على أهلها؛ لأن المرء إذا رأى الأمر الشنيع القبيح كان أعجب ما يكون منه إذا لم يره، والمضارع بما يمتلكه من طاقة تعبيرية يحضر الحدث للسامع، فكأنه ماثل بين يديه يشاهده ويعاينه، فيدرك تناهي سوئه وخبثه.

ولذا جاء (تقتلون) مضارعًا دون (كذبوا) لأنه أدل على الشناعة الفائقة، فكان أجدر بأن يستحضر حتى يعجب الناس من سوء صنيعهم، فيمطرونهم باللعنات بعد لعنة الله والملائكة لهم.

ومنه كذلك قول الله – تبارك وتعالى –:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٢)

يحذر الله – عز وجل – في هذه الآية بني آدم من إغواء الشيطان وإضلاله ووسوسته حتى لا يفتنهم كما فتن أبويهم من قبل.

وحتى يظل المرء متذكرًا خزى الافتتان بإغواء الشيطان ووسوسته جاء الفعل المضارع (ينزع) ليستحضر هذه الصورة الفظيعة.(٣) وينزلها منزلة الحاضر المشاهد، فكأنها صارت ماثلة مرئية لتظل عالقة بالأذهان، لأن المرء

---

(١) ينظر التحرير والتنوير٦/ ٢٧٣، ٢٧٥.

(٢) سورة الأعراف: آية (٢٧).

(٣) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبى السعود لأبى السعود العمادى محمد بن محمد بن مصطفى ٢٢٢/٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت، والتحرير والتنوير٨ب/ ٨٧.

إذا شاهد الأمر الشنيع، وشاهد ما فيه صاحبه من خزى كان أبعد ما يكون عنه، وكلما همَّ به تذكره فرجع وأمسك.

هذا، وقد حشدت الآية بكثير من التراكيب التي تزيد من حدة التحذير والإنذار، إذ لنا أن نتأمل البدء بالنداء (يا بني آدم) للإيذان بكمال الاعتناء بما صدر به؛ لاستدعائه وفور يقظة المنادي، ثم النهي البليغ المؤكد بـ (لا يفتننكم) ومجيئه على تلك الهيئة التركيبية البديعة، والتي تؤذن بخطر المنهي عنه [1]، واستعارة الفتون للإغواء والإضلال والإفساد لبيان عظيم إغوائه ووفور حبائله، وإسناد (أخرج، وينزع، وليريهما) إلى الشيطان عن طريق المجاز العقلي؛ لإبراز قوة تأثيره وشدة إغوائه، وغير ذلك مما انتظم في عقد الآية البديع للمبالغة في التحذير والتنبيه من كيد الشيطان ومكره.

ومنه أيضًا قول الله – عز وجل –:﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ *وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴾[2]

تلك الآيات تصور لنا قصة موسى عليه السلام مع السحرة، وقد اجتمعوا له طامعين في الأجر العظيم والمنزلة المرموقة عند فرعون، ومن ثمَّ فقد

---

(١) ينظر النهي المراد منه النهي عن لازمه للدكتور/ لطفي خالد الجوهري ص/ ٥٧٥ حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالشرقة العدد الرابع ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

(٢) سورة الأعراف الآيات من (١١٣) إلى (١١٩).

اكتملت عندهم وتوافرت لديهم الدوافع من أجل إيقاع أشد هزيمة بموسى – عليه السلام –، إذًا فلن يضيعوا تلك الفرصة من بين أيديهم، ولن يألوا جهدًا في تحقيق هذا الأمر.

وهكذا تتسارع أحداث القصة فنكاد نحسُّ أنها شاخصة أمامنا بأبطالها وأحداثها الآن، ومن بين تلك الأحداث المتسارعة المتلاحقة يصور لنا القرآن مشهدًا في غاية التشويق والإثارة، مشهد إلقاء السحرة عصيهم.

ألقى السحرة عصيهم، فخدعوا الحاضرين، وأدخلوا في قلوبهم الخوف والرهبة حينما أروهم حبالهم وعصيهم أمثال الحيَّات، و قد ملأت الأرض، وركب بعضها بعضًا، وهنا جاءت اللحظة الحاسمة في ذلك المشهد الرهيب، كل العيون تحدق نحو موسى – عليه السلام – كيف يصنع أمام فرعون وكبار سحرة المدائن الذين أتوا بسحرٍ وصفه القرآن بالعظيم، الأنفاس تتعالى، والقلوب ترتجف والأيدي ترتعد.

جاء دور موسى – عليه السلام – فألقى الله – عز وجل – السكينة على قلبه إذا أوحى القادر – جل وعلا – إليه (أن ألق عصاك) وهنا جملتان محذوفتان دلَّ عليهما السياق إذ التقدير: فألقاها فَدبَّت فيها الحياة، وانقلبت حَيَّة فإذ هي تلقف [1]، وهكذا تتسارع الجمل لتواكب سرعة أحداث القصة.

(١) ينظر التحرير والتنوير٨ ب/ ٤٩.

وجاء دور (إذ) الفجائية بما فيها من دلالة على الحال [١] في قوله تعالى:﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ألا لتدل على سرعة هذا التحول المخيف العجيب الهائل، وجاء المضارع (تلقف) ليحضر صورة اللقف الهائلة العجيبة [٢]، فأنزلها منزلة الأمر الحاضر المشاهد، واستطاع أن يأخذ بأيدينا ليجعلنا طرفًا في هذا المشهد المثير الباهر، وكأننا انتقلنا هنالك نتابع ونرصد ونشاهد الأحداث واقعة أمام أعيننا، فأعطانا الصورة الحركية السريعة التي تشبه لمح البصر، تآزر مع ذلك التعبير باللقف خاصة دون الابتلاع للإشارة إلى سرعة الالتهام، والتأكيد على أنها قد أتت على كل عصى السحرة سريعًا دون إمهال.

ومنه أيضًا قول الله – تبارك وتعالى –:﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣]

اجتمع نساء بيوتات كبار الدولة يتحدثن في أمر امرأة العزيز كبير وزراء الملك وما كان منها من مراودة فتاها وغلامها يوسف – عليه السلام – إذ كان حديثهن عن هذا الأمر الشغل الشاغل لهن في مجالسهن، ومن ثمَّ أخذن ينكرن عليها أشد الإنكار والقرآن الكريم إذ يبين عن هذا الحوار الدائر يريك مكر أولئك النسوة وحيلتهن، حيث أنكرن على امرأة العزيز فعلتها من وجوه

(١) ينظر معني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري ص/١٢٠ حققه وعلق عليه د/ مازن المبارك ومحمد على حمد الله راجعه/ سعيد الأفغاني دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٢) ينظر تفسير أبى السعود ٣/ ٢٦٠، والتحرير والتنوير ٨ ب/ ٤٩.

(٣) سورة يوسف آية (٣٠).

متعددة، وكأن كل واحدة منهن أخذت تنكر عليها أمرًا غير الذي تنكره عليه الأخرى.

الأول: كون المتحدث عنها امرأة عزيز مصر، ولذا جاء التعريف بالإضافة (امرأة العزيز) فأشارت لعلو مركزها، والنفوس أقبل لسماع ما يجرى لذوي الشأن والمنزلة، ومن شأن ذلك أن يزيد الفعلة شناعة وقبحًا.(١)

الثاني: كون الذي تراوده فتاها وغلامها، ولذا جاء التعريف بالكناية عن موصوف (فتاها)، ورغبتها في رقيقها وهي من هي يزيد الأمر إنكارًا وتقبيحًا.(٢)

الثالث: كونها تراوده عن نفسه، ولذا جاء التقييد بـ (عن نفسه) وفي ذلك إهانة لها، وتحقير لمركزها؛ لأن شأن مثلها أن تكون مراودَة عن نفسها، لا مراودة لغيرها.(٣)

الرابع: تنزيل هذه المراودة منزلة الحاضر المشاهدة واستحضارها عن طريق التعبير بالفعل المضارع (تراود) مع أن المراودة حدثت في الماضي، وكأن النسوة يدعين مشاهدة امرأة العزيز وهي تنازع يوسف عليه السلام

---

(١) ينظر البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ٦/ ٢٦٦ المحقق/ صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار للمؤلف/ محمد رشيد بن على رضا محمد شمس الدين بهاء الدين بن منلا على خليفة القلمونى الحسيني ١٢/ ٢٤٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) ينظر المصدر السابق ١٢/ ٢٤٠.

وتريد أن تصرفه عن رأيه وتستميله بشتى الحيل والوسائل [١]، وفي ذلك من الإنكار والتوبيخ و اللوم ما فيه؛ لأن المنكر العاتب إذا قال لمن يعاتبه وينكر عليه لقد شاهدتك وعاينتك وأنت تفعل كذا كان ذلك أثقل ما يكون على نفسه؛ لأن فيه من الخزي والمهانة ما فيه، ولأنه لن يجد ما يدفع به التهمة عن نفسه.

هذا فضلاً عما في الفعل (تراود) من إشارة إلى شدة إصرارها على هذا الأمر، وتجدده منها مرَّة بعد مرَّة، بعد أن افتضح أمرها. [٢]

كما لنا أن نتأمل التعبير بـ (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) وما فيه من كناية عن تمكن هذا الحب بقلبها [٣]، وما فيه من تأكيد بـ (قد)، ثم التأكيد بـ (إن واللام واسمية الجملة) في (إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ وَغَلَّقَتِ)، واستعارة الرؤية للاعتقاد[٤] والتعبير بـ (في) وكأنها قد صارت غائصة في غمرة من الضلال البين[٥]، كل ذلك كان له أشد الأثر على امرأة العزيز، وقد نجحت حيلة أولاء النسوة بهذا القول، لأنهن ما قلنه إنكارًا للمنكر، وكرهًا للرذيلة ولا حبًا

(١) ينظر المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ص/٢٠٧ تحقيق وضبط/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة – بيروت لبنان.

(٢) ينظر البحر المحيط ٦/ ٢٢٦، وتفسير المنار ١٢/٢٤٠.

(٣) الشَّغاف بكسر الشين غلاف القلب، وأصاب شغاف قلبه أي اخترق الشغاف فبلغ القلب، كناية عن التمكن – ينظر التحرير والتنوير١٢/٢٦٠.

(٤) حيث شبه الاعتقاد الصحيح الجازم بالرؤية، بجامع التيقن والتثبت في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعيرت الرؤية للاعتقاد، ثم اشتق منها (نرى) بمعنى (نعتقد) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الفعل.

(٥) حيث شبه مطلق تلبسها بالضلال بمطلق الارتباط بين الظرف والمظروف بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، ثم استعيرت (في) من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الحرف. وتمكن حمل الاستعارة على كونها استعارة بالكناية، فيشبه الضلال بجر ذى غمرات، ثم حذف المشبه به وترك لازم من لوازمه وهو الظرفية (في) على سبيل الاستعارة المكنية.

للمعروف، ونصرًا للفضيلة، وإنما قلنه مكرًا وكيدًا وحيلة ليصل لامرأة العزيز، فينظرن ماذا ستفعل، فكان ما فعلت وأعدت لهن.

ومنه كذلك قول الله – تبارك وتعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾(١)

تأخذنا الآية الكريمة لتلفت أبصارنا وبصائرنا إلى دلائل قدرة الله الباهرات في خلقه، ومنها تحليق الطير في الهواء، إذ إنها من أعجب حالات الطير، فكلنا نرى صنوفًا من الطير كل يوم تحلق بأجنحتها في الهواء غدوًا ورواحًا، أسرابًا وفرادى، تحلق وكأنها تتراقص و تستعرض دون خوف من وقوع أو ضياع في ذلك الفضاء الرحب.

والقرآن إذ يعرض ذلك المشهد الباهر العجيب يحضره بين أيدينا ليمتع القلب والعين، ويقنع النفس والعقل، فالبدء بالاستفهام الإنكاري التعجبي بمثابة هزة قوية للنفس كي تستشعر مدى غفلتها فتتأهب وتنتبه لئلا تدخل في عداد أولئك المتعجب من غفلتهم، المنكر عليهم الجهل، الموبخين على عدم إعمال العقل.

ثم مجيء الإطناب بذكر ثلاث صفات للطير **(فَوْقَهُمْ، صَافَّاتٍ، وَيَقْبِضْنَ)** ليحضر ذلك المشهد الرائع البديع، وصورته بكل دقائقها، وينزله منزلة الحاضر المرئي بين يدى المخاطب، لأن كلمة **(فَوْقَهُمْ)**أرتنا الطير محلقًا في الهواء، ثم كلمة **(صَافَّاتٍ)** أرتنا إياه وهو باسط جناحيه يضرب بهما في الهواء يتراقص ويستعرض، ثم كلمة **(وَيَقْبِضْنَ)** أرتنا إياه وهو يقبض جناحيه فيزداد

(١) سورة الملك آية (١٩).

طيرانه بذلك قوة وسرعة. وجاء المضارع في حالة القبض خاصة لمزيد استحضار تلك الحالة العجيبة، وجعلها حاضرة ماثلة أمام الأعين.[١]

كما أن العدول التركيبي في الألفاظ من اسم الفاعل (صافات) إلى الفعل المضارع (يقبضن) يتواءم مع عدول الطير في طيرانها من حالة الصف إلى حالة القبض وكأن الحركة التركيبية تتوازى مع الحركة المشاهدة المرئية، ولذا قيل:" ليس الكلام شيئًا جامدًا، وإنما هو نظام متحرك نامٍ. " [٢]

(١)ينظر التحرير والتنوير ٣٩/٢٩.

(٢)الحركة الأسلوبية أ. د/ عبد الرازق محمد فضل ص/ أ، ب.

المبحث الثاني
التعبير بالوصف المشتق الصالح للدلالة على زمن الحال الحاضرة فيما ليس بحاضر لتنزيله منزلة الحاضر

المراد بالوصف المشتق الصالح للدلالة على زمن الحال (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة)، وتأتي تلك الثلاث تدل على معنى مجرد وهو (الحدث)، وعلى الفاعل إذا كانت اسم فاعل، وعلى المفعول إذا كانت اسم مفعول.(١)

وتأتي تلك الأوصاف المشتقة دالة على الحال والاستقبال كثيرًا، فإذا قلت: محمد قائم دل ذلك على أن محمدًا متصف بالقيام في الوقت الحاضر وقت التكلم.(٢)

ولذا قيل:" ولما كان الانقطاع والتجدد هما من خصائص المضارع، وزمن المضارع هو الحال أو الاستقبال كان الوصف الذي يشاركه فيهما شبيهًا به من الناحية المعنوية، ومحمولاً عليه من ناحية أخرى هي الدلالة الزمنية أيضًا."(٣)

كما أنه إذا قيل: محمد مدعو إلى حفل التكريم، دل على أن الدعوة حاصلة له الآن.

---

(١) ينظر النحو الوافي ٣/ ٢٣٨.

(٢) ولذا يقول صاحب التسهيل في تعريف اسم الفاعل : "إنه الصفة الدَّالة على فاعل الحدث، الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع في أفعالها، حالتي التذكير والتأنيث، المفيدة لمعنى المضارع أو الماضي." ينظر حاشية الخضري محمد بن مصطفى بن حسن الخضري الشافعي ٢/٥٧ شرحها وعلق عليها/ تركى فرحان مصطفى دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) النحو الوافي / ٣٩، ٤٠.

وقد جاءت تلك المشتقات دالة على زمن الحال والاستقبال في الشعر كثيرًا ومن ذلك قول امرئ القيس:(١)

أغَـرَّكِ مِنّـي أن حبَّـك قـاتلي وأنك مهما تـأمري القَلـب يفعـلِ

حيث عبَّر باسم الفاعل (قاتل) ليشير به إلى مدى معاناته من حب محبوبته في الزمن الحاضر زمن التكلم.

ومنه أيضًا قول أبى ذؤيب الهذلي:(٢)

قالت أميمـة ما لجسـمك شـاحبًا منـذ ابتـذلت ومثـل مـا لـك ينفـع

فدلَّ اسم الفاعل (شاحب) على امتداد زمن شحوب جسم أبى ذؤيب وهزاله إلى الزمن الحاضر زمن التكلم.

كما جاء في القرآن الكريم في قول الله – عز وجـل –: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾(٣)

فأشار القرآن الكريم بـ اسم الفاعل (راغب) إلى تجافي إبراهيم – عليه السلام – عن عبادة الأصنام في زمن الحال وقت الاستفهام ومن هنا تبين أن الأصل في الوصف المشتق (اسم الفاعل، واسم المفعول) أن يدل على زمن

(١) ديوان امرئ القيس ص/ ١٣٤ ضبطه وصححه الأستاذ/ مصطفى عبد الشافي شرح/ حسن السندوبى دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

(٢) المفضليات المؤلف/ المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبى ١/ ٤٢١ تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف – القاهرة.

(٣) سورة مريم آية (٤٦).

الحال والاستقبال المتصل به ما لم توجد قرينة تصرف معناه إلى المضـــى.[١] أول المستقبل البعيد.

هذا، وقد يأتي حدث ليس بحاضر واقع وقت الإخبار عنه، ولكنه ينـــزل منزلة الحاضر الواقع، فيخبر عنه بالوصف المشتق لغرض بلاغي مراد ومـــن ذلك قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[٢]

حزن المؤمنون أشد الحزن على قتلاهم يوم أحد، إذ استشهد يومها كثيـــر من خيرة المؤمنين، فأسفوا لذلك أسفًا شديدًا، فجاءت هذه الآية مع مـــا قبلهـــا تسلية لهم على ما أصابهم، وتربية وتعليمًا للأمة ألا يأسفوا على من قتل فـــي سبيل إعلاء كلمة الله تعالى؛ لأن الموت لا مفر لحي منه، فلو لم يمت الإنسان اليوم لمات غدا، ولا يشترط أن يكون الجزاء دنيويًا، فـــالجزاء الـــدنيوي أقـــل أنواع الجزاء، و ما ينتظر المؤمن من أجر كامل غير منقوص فـــي الآخـــرة أعظم وأوفى مما سيناله في الدنيا.

والمتأمل الآية الكريمة يلحظ مجيء اسم الفاعل (ذائقة) وهو يـــدل علـــى الحال أو الاستقبال [٣]، ومن المعلوم أن وقوع المـــوت وذوق النفـــوس لـــه لا

---

(١) وإنما كان ذلك خاصاً باسم الفاعل واسم المفعول لأنهما يدلان على الحدوث والتجديـــد كالفعل، أمَّا باقي المشتقات فتدل على الثبوت، و لذا فهي بعيدة عن الفعل، قريبة من الأسماء الجامدة. – ينظر النحو الوافي ٣٥٦/١.

(٢) سورة آل عمران آية (١٨٥).

(٣) المراد بالاستقبال هو الذي يبدأ بعد زمن التكلم مباشرة ينظر النحو الوافي٤٦/١.

يكون في وقت واحد، وإنما يكون عبر الدهور والأزمان المتعاقبة، والسر وراء ذلك هو استحضار تلك اللحظة بتنزيل غير الحاضر الواقع منزلة الحاضر الواقع للإشارة إلى أنه على وشك الوقوع جدًا، وسرعان ما سيحدث، فإذا علم المؤمن أنه ذائق الموت الآن أو من قريب هان في عينه كل شيء، ولم يحزن على فوات نعيم من الدنيا زائل ؛ لأنه موقن أنه ذاهب إلى دار هي خير مستقرًا وأحسن مقيلاً.

ويؤيد هذا المعنى قراءة المطوعى بالتنوين والإعمال (ذائقةٌ الموتَ) بنصب الموت على أنه مفعول به لاسم الفاعل العامل [١]، ومن المعلوم أن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان دالاً على الحال أو الاستقبال [٢]، و من ثمَّ كان التعبير به لتنزيل غير الحاضر الواقع منزلة الحاضر الواقع على سبيل المجاز. [٣]

(١) وعن المطوعى أيضًا قراءة ثالثة بحذف التنوين ونصب الموت (ذائقةُ الموتَ) ينظر التبيان في إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسن العكبرى ١/ ٢٤٩ دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) ينظر النحو الوافي١/ ٤٦.

(٣)لأن اسم الفاعل دال على زمن الحال، ثم أريد به مطلق الدلالة على الزمن، ثم نقل من مطلق الدلالة على الزمن للدلالة على المستقبل على سبيل المجاز المرسل الذي علاقته الإطلاق والتقييد.

أو على سبيل الاستعارة التبعية، بأن شبه الحال بالاستقبال بجامع مطلق الدلالة على الزمن في كل، ثم استعير الحال للاستقبال، ثم اشتق من الحال بمعنى الاستقبال، اسم الفاعل بمعنى المستقبل على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

تآزر مع التعبير باسم الفاعل في مقام التسلية التعبير بالذوق خاصة، و هو مستعار لوجدان الموت وإدراكه إدراكًا شديدًا [1]، لأنه إذا علم المرء أنه لا مفر سيشرب شرابًا مرًّا، فما ينبغي له أن يفرح بتأخر هذا الشراب عنه، لأن تأخره مؤذن بوشك وقوعه.

ثم جاء قصر القلب تصحيحًا لمفاهيم الأمة في قوله تعالى:(وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إذ نزل المؤمنون فيما أصابهم من الحزن على قتلاهم وعلى هزيمتهم منزلة من لا يترقب من عمله إلا المنافع الدنيوية من النصر والغنيمة، ومن ثمَّ جاء القصر إرشادًا لما ينبغي أن يكون مستقرًا في عقولهم وقلوبهم، وترسيخًا لمبدأ إعلاء الدين دون انتظار أجر دنيوي عاجل سرعان ما سيزول.

ومن ذلك أيضًا قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ

(١)حيث شبه وجدان الموت بالذوق بجامع شدة الإدراك في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعير المشبه به له، ثم اشتق من الذوق بمعنى الوجدان ذائقة بمعنى واجدة على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ينظر الكشاف ٣/ ٤٦١، والتحرير والتنوير٤/ ١٨٨.

ويمكن أن تكون استعارة مكنية، بأن يشبه الموت بشراب كريه الطعم مر، ثم حذف المشبه به، وترك لازم من لوازمه وهو الذوق على سبيل الاستعارة المكنية – ينظر حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوى ٧/ ١٠٧ المؤلف/ شهاب الدين أحمد بن عمر الخفاجى المصري الحنفي دار صادر – بيروت.

﴿أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[1]

تعرض تلك الآيات مشهدًا من مشاهد الساعة وأشراطها الذي يدل على قرب الموعد، وهو فتح سد يأجوج ومأجوج، وتدفقهم من كل حدب وصوب في سرعة واضطراب.

والآية إذ تسوق ذلك المشهد تستحضر أمام الأعين صورة هؤلاء المشركين (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا)، إذ جاء التعبير بـــ (إذا) الفجائية بما فيها من دلالة على الحال لترسم مدى دهشتهم ومفاجأتهم، وكذلك التعبير باسم الفاعل (شاخصة) الذي رسم صورتهم و أبرزها، وجعلنا نشاهدها وكأنها واقعة الآن أمام أعيننا، فنرى أبصار المشركين من هول الصدمة شاخصة لا تطرف، ونراهم يتحدثون، ويتكلمون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) فحذف فعل القول حتى تتراءى الصورة حاضرة أمام أعيننا، ولا يوجد بها ما يعوقنا أو يخرجنا عن دائرة الرصد و المشاهدة لذلك الموقف الرهيب.

ثم استحضرت الآيات صورة هؤلاء المشركين في ساحة العرض، وكأنهم الآن على عرصات جهنم هم وآلهتهم المدعاة، ويقذفون فيها قذفًا بلا رفق ولا أناة في قوله تعالى: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ وَجَعَلْنَاهَا﴾ إذ اسم الفاعل (واردون) بما فيه من دلالة على الحال يريكهم وكأنهم يردون جهنم الآن، فأنزل ورودهم لها منزلة الحاضر الواقع، و لذا يقول الطاهر بن عاشور:" والمقصود منه تقريب

(١) سورة الأنبياء الآيات (٩٦، ٩٧، ٩٨)

الحصب بهم في جهنم لما يدل عليه قوله (واردون) من الاتصاف بورد النار في الحال، كما هو شأن الخبر باسم الفاعل، فإنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال. " (١)

ولا شك أن مثل هذا العرض المصور الذي أحضر غير الحاضر وأنزله منزلته كان له أكبر الأثر في زلزلة كل معاند متكبر إذ إنه يلطم الأبصار قبل الآذان، ويجعل القلوب تمتلئ خوفاً وفزعًا لاستشعارها قرب قيام الساعة، وقرب ورودها جهنم، لأن الشيء كلما دنا أجله واقترب صح معه أن يُدَّعى حصوله وحدوثه، ومن ذلك إذا أمر والد ولده أمرًا، فإن الابن البار يقول مستجيبًا لأبيه:يا أبت أنا فاعل له قائم عليه، وهو لم يأت بالفعل أصلاً، ولكنه لما كان عازماً عليه، مسارعًا في تلبية أمر أبيه، واضعًا كل جهده فيه أنزله منزلة الأمر الواقع الذي يباشره ويفعله.

ومنه أيضًا قول الله – عز وجل –:" ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢) جاء بعض المنافقين يستأذنون النبي – ﷺ– في التخلف عن الخروج معه فيغزوة تبوك، واعتذروا لذلك بأعذار واهية كاذبة.(٣)

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٣/١٧.

(٢) سورة التوبة آية رقم (٤٩).

(٣) فمنهم من قال : إن الخروج إلى الغزو يفتنهم لمحبة أموالهم وأهليهم، وقال جماعة آخرون : ائذن لنا لأننا قاعدون أذنت لنا أم لم تأذن، فأذن لنا لئلا نقع في المعصية، وقال غيرهم : نخاف من فتنة نساء بني الأصفر – ينظر التحرير والتنوير ١٠/ ٢٢٠، ٢٢١.

فجاء رد القرآن عليهم ليرسم أمام أعيننا مشهد ضلالهم و فتنتهم، قال تعالى:(أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟) فصورهم بصورة ساقط في هوة عظيمة على حين غِرَّة ليشعرنا بمدى ضلالهم و انحطاطهم وغبائهم[1]، كما ناسب حالهم التعبير بـ (ألا) المنبئة بشدة جهلهم وغفلتهم.

ثم أبان ما ينتظرهم من عقاب لا يستطيعون الإفلات منه، فقال تعالى:(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ٱلْأُمُورَ) فجاء اسم الفاعل (محيطة) لينزل غير الحاضر منزلة الحاضر، كي يستحضر المخاطب هذه الصورة المفزعة المخيفة، فكأنها واقعة بهم الآن، ولذا يقول العلامة أبو السعود:" محيطة بهم الآن تنزيلاً لشيءٍ سيقع عن قريب منزلة الواقع. " [2]

كما أن في إبراز الأمر المتوعد به منزلة الواقع الحاضر كناية عن حدوثه لا محالة، ولذا يقول الإمام الزمخشري:" أو لأنها مآلهم ومرجعهم إليها لا محالة فكأنها الساعة محيطة بهم ". [3]

وفيه أيضًا تهديد ووعيد شديدين، إذ إن من شأن الملك ذي السلطان المتوعد إذا علم من أحد عصياناً لأمره أن يقول: إني لقاطع عنقه بسيفي هذا، فيخرج الأمر وكأنه حاصل الآن زيادة في الترهيب، وللإعلام بعدم تفلته منه.

---

(١) ففيه استعارة تمثيلية، حيث شبهت هيئة أولئك المنافقين المعتذرين عن الخروج ظنًا منهم أنهم سيكونون في مأمن فضلوا بفعلهم هذا ؛ بهيئة السائر يظن نفسه أنه ماشٍ في طريق سهلٍ معبد فإذا به يسقط في هوة عظيمة بجامع الهيئة الدَّالة على مجيء الهلاك من الموضع لذي يعتقد منه الأمن، ثم حذفت هيئة المشبه، واستعيرت هيئة المشبه به له.

(٢) تفسير أبى السعود ٤/ ٧٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٦٠.

كما ناسب ذلك التوعد والتهديد التأكيد بـ (إن واللام واسمية الجملة) ووضع المظهر(بالكافرين) موضع المضمر (بهم)، وكأن هذه المؤكدات المتوالية جمرات ذلك الجحيم الذي يلتهب تغيظًا وزفيرا.

كما جاء هذا التهديد والوعيد في آية أخرى في قول الله – عز وجل –:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]

كان استعجال العذاب من الكافرين استهزاءً وتكذيباً لرسول الله – ﷺ –، بل منهم من قال: أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الأيكة. [2]

وأمام هذا الاستهزاء والتكذيب جاء الرد القرآني منزلاً غير الحاضر منزلة الحاضر إذ صور جهنم محيطة بهم الآن، ولا شك أن استحضار المستقبل وكأنه مشهود مرئي يوقع في النفس رهبه إذ كيف يستعجل العذاب من تحيط به جهنم وتكاد تهم أن تطبق عليه وهو غافل مخدوع.

وقد كان هذا الرد الحاسم كاللقم بالحجارة في أفواه أولئك المستهزئين إذ ناسب استعجالهم العذاب أن يصور العذاب وكأنه حاضر واقع الآن بهم ليشعرهم بدنو أجلهم، وقرب حسابهم، وعدم إفلاتهم منه.

كما أن في هذا الاستحضار للعذاب ردًا على استخفافهم بالإنذار منه لما في ذلك من إشارة إلى غاية تجهيلهم، وركاكة عقولهم لأنهم يستعجلون بالعذاب وهو واقع بهم لا محالة. [3]

---

(١) سورة العنكبوت الآيات (٥٣، ٥٤).

(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٤٦٠.

(٣) ينظر تفسير أبى السعود ٧/ ٤٤.

ومن ذلك أيضًا قول الله – عــز وجــل –:﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾(١)

من يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل الحق تبارك وتعالي له مخرجًا ومخلصًا من هموم وغموم الدنيا والآخرة، ومن يتوكل عليه سبحانه يكفيه فــي جميع أموره، فأمره سبحانه نافذ، لا يفوته مراد، و لا يعجزه مطلوب، قد جعل لكل شيءٍ توقيتًا ومقدارًا وتقديرا. (٢)

ولما كانت النفس الإنسانية عجولاً دائمًا، تتعجل الخير ولا تصبر، ناســبها مجيء اسم الفاعل (بالغ) الذي أنزل غير الواقع الحاضر منزلة الواقع الحاضر وقت التكلم، ليناسب تلك النفس الظامئة المتلهفــة المترقبــة ليبشــرها بقــرب حصول الأمر المرغوب فيه من تفريج الكروب والخروج من المضائق.

ومما يعضد هذا المعنى ويقويه قراءة الجمهور (بالغ) بالتنوين، و(أمــره) بالنصب، كما قرئ (بالغ) بالتنوين و (أمره) بالرفع، على أنه فاعل (بــالغ). (٣) ومن المعلوم أن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان دالاً على الحال والاستقبال.

تآزر مع التعبير باسم الفاعل التأكيد بــ (إنَّ واســمية الجملــة) المــؤذن بتحقق وعد الله – عز وجل – وأنه على وشك الوقوع عن قريب، كــل ذلــك لتهدأ النفس الضائقة، وتثق تمام الثقة في وعد الله – جل وعلا – و تطرد عنها كل هواجسها، وتطمئن.

---

(١) سورة الطلاق الآيات (٢، ٣).

(٢) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي ٨/ ٢٦٢ دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

(٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن٢/ ٤٥٦.

ومنه أيضًا قول الله تعالى:" ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾[1]

تلك الآيات تخبرنا عن حال المؤمنين في الآخرة، وما هم فيه من نعيم، و الآيات لا تخبرنا فحسب بل جعلتنا نراهم وهم يتنعمون، إذ التعبير باسم الفاعل (فاكهين)، واسم الفاعل (متكئين) أنزل ذلك المشهد منزلة الحاضر الواقع، فكأن المؤمنين يتمازحون ويضحكون ويتكئون على السرر المصفوفة الآن.

كما أن هذا التعبير فضلاً عما فيه من استحضار الصورة فيه إيذان بقرب تحقق هذا النعيم للمؤمنين فكأن واقع حاضر بالفعل، وفي ذلك زيادة تبشير للمؤمنين، وزيادة مساءة للمشركين. [2]

تآزر مع ذلك التعبير بالأفعال الماضية (آتاهم، وقاهم، زوجناهم) للدلالة على تحقق حدوث صنوف النعيم وكأنها قد وقعت بالفعل، كذلك التعبير باسم المفعول (مصفوفة)، والتعبير بحرف الظرفية (في جنات)، وحذف فعل القول إذ (كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون)، كل ذلك جاء لبيان قرب تحقق هذا النعيم ولاستحضار ذلك المشهد أمام أعين المؤمنين، فيزدادون رغبة وسرورًا واستبشارًا بما أُعِدَّ لهم في الآخرة.

ومنه كذلك قول الله -عز وجل-:﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾[3]

---

(١) سورة الطور الآيات (١٧، ١٨، ١٩، ٢٠).

(٢) ينظر تفسير أبى السعود ١٧٣/٧.

(٣) سورة الأنبياء آية (٩٣).

حيث جاء اسم الفاعل (راجعون) لينزل غير الحاضر منزلة الحاضر للإشارة إلى تحقق وقوعه وثباته، وأنه على وشك الحدوث جدًا، فكأنه حاصل حاضر واقع الآن.(١)، وفي ذلك من الترهيب والوعيد ما فيه.

ومن تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر عن طريق التعبير بالصفة المشبهة قول الله – تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٢)

إذ التعبير بالصفة المشبهة (ميت وميتون) جاء لمن سيتصف به في المستقبل القريب، بينما المقرر عند النحاة أن الصفة المشبهة للزمن الحاضر الدائم، دون الماضي المنقطع، والمستقبل، فلا يقال: زيد حسن الوجه أمس أو غدا. (٣)

ولكن لما كان الموت متحقق الوقوع، وأنه على وشك الوقوع بكل أحد أنزله القرآن منزلة الأمر الحاضر الواقع حتى تستعد النفوس له، وتعلم أن الموت قريب منها يكاد ينزل بها بين اللحظة الأخرى، ومن ثمَّ تسارع إلى التوبة، ولا تسوف في الإقلاع عن الذنب. (٤)

تآزر مع ذلك التأكيد المشعر بقرب الخطر وشدة الإنذار حتى يطرد المرء عن نفسه كل ما يلهيه ويشغله، أو يجعله يغفل فيشتد حرصه على الدنيا والتمسك بها.

---

(١) ينظر تفسير أبى السعود ٣/ ٢٨٥.

(٢) سورة الزمر آية (٣٠).

(٣) ينظر أوضح المسالك٣/ ٢٢٠.

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٤/ ٤٠٤.

المبحث الثالث
الإشارة إلى ما ليس بحاضر لتنزيله منزلة الحاضر

الأصل في اسم الإشارة أنه يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسيَّة، كأن ترى إنساناً أو بيتًا أو شجرة أو عصفورًا، فتقول هذا إنسان، وذاك بيت، وتلك شجرة، وذي عصفورة، والإشارة هنا تتضمن أمرين معاً هما:

الأول: المدلول المشار إليه وهو الإنسان والبيت والشجرة والعصفور.

الثاني: الإشارة إلى ذلك في الوقت نفسه.

والأمران مقترنان، يقعان في وقت واحد، لا ينفصل أحدهما عن الآخر لأنهما متلازمان دائمًا. (١)

وبناءً على ذلك يتبين أن اسم الإشارة يقتضي مشارًا إليه محسوسًا موجودًا حاضرًا مشاهدًا وقت التكلم، ولكن المتأمل أساليب العربية يلحظ أن الإشارة قد تأتي لغير الحاضر المشاهد تنزيلاً له منزلة الحاضر، ومن ذلك قول النابغة الذبياني:(٢)

نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيًا ورعيًا لذاك العاتب الزارى

حيث إن النابغة أشار إلى نعمى إشارة الحاضر المشاهد في قوله: (لذاك العاتب الزارى)؛ لأنه لما قدَّم الحديث عنها في قوله:(نبئت نعمى على الهجران عاتبة)، فكأنما أحضرها وجعلها متمثلة في العقول والأذهان، فصح

(١) ينظر النحو الوافي ١/ ٣٢١.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص/ ١٩ شرح وتعليق/ عباس عبد الستار دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

أن ينزلها منزلة الحاضر ويشير إليها، كما أن المقام مقام اعتذار وتلطف مع المحبوبة فتمثلها حاضرة ليسترضيها ويعتذر لها.

ومنه كذلك قول خفاف بن ندبة:(١)

أقول له والرمح يأطر بيننا تأمل خِفافًا إنني أنا ذلكا

فأشار خفاف بـ (ذلك) لما هو حاضر في ذهن المخاطب من صورة له قد رسمها وتصورها من حديث القوم عنه، ومن ثمَّ أشار إليها وكأنها صارت متمثلة حاضرة.

وقول ابن الدمينة:(٢)

تعاللتِ كي أشجي وما بك علة تريدين قتلي قد ظفرت بذلك

فنزل قتله بالإشارة إليه منزلة الحاضر، وخيَّل أنه صار حقيقة مجسدة يشار إليها كما يشار إلى المحسوسات البينة. (٣)

وحتى نقترب خطوة أكثر من هذه الطاقة البلاغية الكامنة في اسم الإشارة نسوق الأمثلة والشواهد تباعًا التي تكشف هذا الأمر، وتجليه أمام عيني القارئ.

---

(١) الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد، أبو العباس ٣/ ١٦٧ تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) مفتاح العلوم المؤلف/ يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب ص/ ١٩٧ تحقيق/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) ينظر خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى ص/ ٢٠٤ مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م

فإذا قال القائل: **هذا هو الشتاء قادم فأعدوا له**

أو قال الآخر: **هذا هو الظالم على مشارف البلدة فاستعدوا له**

رأينا الإشارة إلى (الظالم) و (الشتاء) بالرغم من أنهما لم يأتيا بعد، وليسا بحاضرين وقت الإشارة، ولكن المتكلم أنزلهما منزلة الحاضر تهويلاً لأمرهما، وكأنهما من فرط ما عرف عنهما من صفات صارا كالمشاهد المعاين، وهنا يمكن اهتمام المتكلم وإحساسه بما يتحدث عنه. (١)

كما لنا أن نتأمل قول قيس بن الخطيم:(٢)

متى يأتِ هذا الموت لا يلف حاجة لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

فأشار إلى الموت بـ (هذا) ليبرزه ويحضره مجسدًا أمام عينيه ينظر إليه، ويحدق فيه، وهو مع ذلك لا يهابه، ولا يأبه به، فلوَّح بالتعبير باسم الإشارة إلى معنى الاستخفاف وعدم الاكتراس، كما كنَّى بذلك عن عظم شجاعته وجسارته.

ومن تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر باسم الإشارة أيضًا ما يعرف بـ (الفذلكة) (٣) وهي إحدى طرائق الإجمال بعد التفصيل، عرفها الزمخشري

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٩/٢٥.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم ص/ ٤٩ تحقيق الدكتور/ ناصر الدين الأسد، دار صادر – بيروت.

(٣) الفذلكة: كلمة مولدة لم تسمع في كلام العرب، غلب إطلاق اسم الفذلكة على خلاصة جميع الأعداد، وإن كان اللفظ المحكي جرى بغير كلمة (ذلك) كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ينظر التحرير والتنوير ١/ ٢٩٧.

بقوله:" في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين، فيتأكد العلم، ومن أمثال العرب علمان خير من علم." (١)

ومن ذلك قول الفرزدق:(٢)

ثلاث واثنتان فتلك خمس وسادسة تميل إلى شمامى

فجاءت الإشارة في (فتلك خمس) لإجمالي العدد بعد قوله:(ثلاث واثنتان)، وحسنت الإشارة هنا؛ لأن العدد المجمل نُزِّل منزلة الحاضر المشاهد؛ لأن تقديم التفصيل عليه هيأ العلم به لدى السامع فإذا جاءت الإشارة إليه جاءت والعدد مستقر معلوم حاضر في ذهنه كحضور المرئي المشاهد.

ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾(٣)

فقوله تعالى: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) فذلكة الحساب (٤) وجاءت هنا للدلالة على أن العدد محدد جدًا، وواضح وضوحًا بينًا، لا يتطرق إليه شك أو احتمال، فَنُزِّل منزلة الحاضر المرئي الذي لا تخطئه العين.

---

(١) الكشاف١/ ٢٤١.

(٢) الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ١/ ٤٦٩ دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ.

(٣) سورة البقرة آية (١٦٩).

(٤) فالحاسب إذا ذكر عددين فصاعدًا قال عند إرادة جمع الأعداد (فذلك) أي المعدود كذا، فصيغت لهذا القول صيغة (نحت) مثل (بَسْمَلَ) فحروف (فذلكة) من حروف (فذلك). ينظر التحرير والتنوير ١/ ٢٢٨.

ومنه أيضًا قول الأعشى:(١)

ثــلاث بالغــداة فهــن حســبي وســت حــين يــدركني العشــاء

فــذلك تســعة في اليــوم ربــي وشــرب المــاء فــوق الــرى داء

فجاءت الإشارة والفذلكة في (فذلك تسعة) تأكيداً علي أن هــذا العــدد لا يتطرق إليه احتمال أو شك إذ صار بمنزلة الأمر الحاضر المحسوس.

وليس الأمر كما قيل من أن العرب تفعل ذلك الصنيع حينما تأتي بالفذلكــة لقلة الحساب فيهم.(٢) لأن هذا الأسلوب قد جاء في كلام العرب، كما جاء في القرآن والسنة، بما يشهد بفصاحة هذا السلوب وبلاغته وإن كان أصله الحساب ومأخوذ منه.

ومن ذلك قول الله – عــز وجــل –:﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣)

حيث جاءت جملة (تلك القرى) مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص؛ لأنه لما تقدم ذكر القرى التي كذب أهلها أكثر من مــرة فــي هــذه السورة قبل هذه الآية، جاءت الإشارة بالفذلكة لزيادة إحضار هذه القــرى فــي

(١) ينظر عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ أحمد بــن يوســف عبــد الــدائم المعروف بالسمين الحلبي ٣/ ٧٧. تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) ينظر المصدر السابق ٣/ ٧٧.

(٣) سورة الأعراف آية (١٠١)

الأذهان، فتصير للسامعين كالحاضرة المشاهدة الصالحة لأن يشار إليها ليعتبروا بحالها فيفيئوا إلى الحق. (١)

ومما جاء في الحديث النبوي الشريف ما روى عن أبي هريرة – ﷺ– قال: قال رسول الله – ﷺ–:"**من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبَّر الله ثلاثًا وثلاثين فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، غفرت خطاياه، وإن كانت مثل زيد البحر.**"(٢)

حيث جاءت (فتلك تسعة وتسعون) فذلكة لما قبلها، للتأكيد على العدد المذكور بتنزيله منزلة الحاضر المشاهد المتيقن من معرفته بحيث لا يعترى السامع شك فيه أو تردد أو غفلة أو نسيان له، ولذا يقول الإمام الطيبي:" ثم أجمل في آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا، ومن عادة المحاسبين أن يكتبوا الأشياء مفصلات، ثم يوقعوا في آخرها فذلكة ترد التفصيل إلى الجملة."(٣)

---

(١) ينظر تفسير أبى السعود٣/ ٢٥٥، والتحرير والتنوير ٩/ ٣٠.

(٢) صحيح مسلم المؤلف/ مسلم بن الحجاج الحسن القشيري النيسابوري كتاب/ المساجد ومواضع الصلاة باب/ استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم (٥٩٧) ٤١٨/١ تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمام/ شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي ١/ ٢٧١ اعتنى به وعلق عليه/ أبو عبد الله محمد على سمك دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

هذا ما كان من أمر الفذلكة وبلاغتها، ولقد تعددت أساليب العرب في التعبير باسم الإشارة التي تستمد بلاغتها من هذا الأصل وهو تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر ومنها:

ما ذكره البلاغيون من أنه يحسن تعريف المسند إليه بالإشارة عندما تذكر أوصافًا عديدة للشيء، ثم تذكره باسم الإشارة لبيان أن المشار إليه جدير بما بعده من أجل تلك الصفات.(١)

وإنما حسن اسم الإشارة في هذا المقام؛ لأن أصل الإشارة أن تعود إلى ذات مشاهدة معينة، إلا أن العرب قد يخرجون بها عن هذا الأصل، فتعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها وأحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع؛ فإن السامع إذا وعى تلك الصفات، وكانت مهمة أو غريبة في خير أو ضده صار الموصوف بها كالمشاهد الحاضر، وهذا أصل الاستعمال في إيراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار إليه. (٢)

ومن ذلك قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣)

---

(١) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ/ بهاء الدين أبى حامد أحمد بن على بن عبد الكافي السبكي ٣١٣/١ تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١/ ٢٤١.

(٣) سورة البقرة الآيات (٢، ٣، ٤، ٥).

لما جاء الإخبار عن صفات المتقين وأفعالهم الظاهرة والباطنة من إيمان بالغيب، وإقامة للصلاة، وإنفاق من الرزق الحلال، وإيمان بالقرآن والتوراة والإنجيل وجميع الرسالات السماوية، وإيمان باليوم الآخر، صار المتقون في حكم المرئي الحاضر المشاهد، فاستحقوا الإشارة إليهم كما يشار إلى الأعلام ذائعة الصيت بصفاتها وخلالها الحسنة فقال تعالي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

كما أن المخاطب إذا سمع ما تقدَّم من صفات الثناء عليهم ترقب فائدة تلك الأوصاف، فإذا جاء الاستئناف باسم الإشارة كان أبلغ ما يكون في هذا المقام لما فيه من التنويه بتلك الصفات، وأنها محل العناية والحفاوة؛ لأنها جعلت صاحبها محط الأنظار، ومن ثمَّ إذا جاء الحكم بعد اسم الإشارة الناشئ عنها كان المشار إليه جديرًا به من أجلها. (١)

وبهذا يكون اسم الإشارة قد أحضر المتقين أمام أعين السامع فصار يراهم بكل خصائصهم وصفاتهم، لأنه لما تكشفت له صفاتهم صاروا حاضرين أمامه، يعرفهم بسيماهم، ومن ثمَّ استحقوا أن يشار إليهم كما يشار إلى الأعلام وكبار القوم، ولذا يقول الإمام أبو السعود عن دلالة الإشارة في الآية: "وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تمييز، منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة."(٢)

(١) ينظر التحرير والتنوير ١/٢٤٢.

(٢) ينظر تفسير أبى السعود١/٣٣.

ومن ذلك أيضاً قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1]

بعد أن جمعت الآية الخصال التي هي جماع الفضائل الفردية من إيمان وإقام للصلاة، وجماع الفضائل الاجتماعية من زكاة وبذل للمال لتحرير الرقاب، وخصلة جمعت بين الأمرين وهي الوفاء بالعهد إذ هي دالة على كمال النفس، ومدعاة لأن يثق الناس بعضهم ببعض صار المتصف بتلك الصفات كأنه حاضر معلوم مرئي لا يخفى على أحد، وظاهر تمام الظهور، ومن ثمَّ نُزِّل منزلته، واستحق أن يشار إليه كما يشار إلى الملوك إذا نزلوا بساحة القوم في أبهة الملك وعز السلطان، إذ إن الناس يعرفون من صفات السلطان ما يجعله متصورًا في نفوسهم وأذهانهم، فإذا ظهر أمامهم مع وزرائه وحاشيته، عرفوه من بينهم، وميزوه بما استقر لديهم من صفات له، وأشاروا له دونهم، كذلك أولئك المؤمنون لمَّا عرف عنهم تلك الصفات العظيمة والشيم الكريمة استحقوا أن يشار إليهم، ويحكم عليهم بأنهم الصادقون الأتقياء.

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٧).

ومنه أيضًا قول الله تعالى: " ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1]

لما جاء التعبير بالاسم الموصول وصلته (الذين يكفرون) للدلالة على أن الموصوفين بلغوا الغاية من تلك الصفات الشنيعة صح أن ينزلوا منزلة الحاضر المشاهد، وأن يشار إليهم كما يشار إلى الجاني إذا ذكرت أفعاله وجرائمه فتميز بها وافتضح أمره، وتقررت معرفته في نفس الحاضرين، وتبين لهم أنه جدير حقيق بما سيحكم عليه بعده، ولذا قيل: وللإشارة هنا موقع حسن جدًا بلغ الغاية " [2]

ومنه كذلك قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا *أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾[3]

بعد أن جاء التعجب بقوله تعالى:(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَكَفَىٰ الدال على مدى شناعة أفعالهم وقبحها من اتباعهم للأصنام ومحالفتهم للمشركين، وهذا يخالف أصول شرعهم ومعتقدهم، جاءت الإشارة إليهم بقوله تعالى:(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ) للدلالة على أن من بلغ من وصف حاله هذا المبلغ نُزِّل منزلة الحاضر، وصار كالمشاهد المرئي، وكأنهم صاروا من ذوى الآفات

(١) سورة آل عمران الآيتان (٢١، ٢٢).
(٢) التحرير والتنوير٩/ ٢٦١.
(٣) سورة النساء الآيات (٥١، ٥٢).

الظاهرة التي لا تخفى على أحد، ومن ثمَّ استحقوا إشارة الافتضاح والتشهير.(١)

ومنه كذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢)

لما كان افتراء الكذب على الله (٣) أشد الظلم، وأقبح القبائح، وأشنع الرذائل كان كافيًا للتعريف بهم، وتحديد هويتهم، ومن ثمَّ نُزِّلوا منزلة الحاضر؛ لأنهم صاروا مشتهرين بالسوء بين العباد، مفضوحين بالخزي والعار، فأشير إليهم كما يشار إلى صاحب العُرِّ الخبيث في قوله تعالى:(أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ سُوَرِ ولذا قيل:" واستحضارهم بطريق اسم الإشارة لتمييزهم للناس كلهم حتى يشتهر ما سيخبر به عن حالهم، والمقصود من ذلك شهرتهم بالسوء وافتضاحهم. " (٤)

هذا، وقد يقدم اسم الإشارة على الاسم الموصول ويفيد كذلك تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر، ومن ذلك قول الوالد محرضًا أبناءه على فعل أمر ما: من ذا الذي يفعل كذا؟

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٨٧/٥.

(٢) سورة هود آية (١٨) .

(٣) كذب أهل الكتاب على الله بأنه اتخذ ولدًا وشريكاً- سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرا -. ينظر الكشاف ٢/ ٣٨٥.

(٤) التحرير والتنوير ٣٣/١٢.

فالوالد لا يشير إلى واحد معين، ولكنه أتى بالإشارة تنزيلاً لغير الحاضر منزلة الحاضر، وكأن الأبناء منهم من امتثل، وسارع إلى الفعل، والوالد يشير إليه، ويستفهم عنه ليجازيه عليه، تحريضًا منه لأولاده على المسارعة إلى فعل ما يُرَغِّب إليه.

ومما جاء على هذا الأسلوب قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[1]

حيث جاءت الإشارة بعد الاستفهام لاستحضار حال المقترض وتنزيله منزلة الشخص القريب[2]، وكأن المنفق في سبيل الله قد امتثل، وسارع إلى تنفيذ ما أمر الله – عز وجل – به، ومن ثمَّ جاء الاستفهام عنه، والإشارة إليه ليجازي الجزاء الحسن عليه، وما كان ذلك إلا تحريضًا للسامعين على المسارعة إلى الإنفاق في سبيل الله، وترغيبًا لهم فيما عند الله – جل وعلا –، ولذا قيل:" والاستفهام مستعمل في معنى التحريض مجازاً، لأن شأن المحرض على الفعل أن يبحث عمن يفعله، ويتطلب تعيينه؛ لينوطه به، أو يجازيه عليه."[3]

(١) سورة الحديد آية (١١).
(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٧.
(٣) التحرير والتنوير ٣٧٧/٢٧.

المبحث الرابع
التعجب أو التعجيب مما ليس بحاضر لتنزيله منزلته

التعجب هو: انفعال يحدث في النفس حين تستعظم أمرًا ظاهر المزية، مجهول الحقيقة أو خفى السبب. (١)

والتعجب يقتضي وقوع فعل ظاهر المزية حاضر، يحدث في النفس انفعالاً، ويجعل اللسان ينطلق بألفاظ التعجب والدهشة للإبانة عمَّا استقرَّ في النفس من استعظام لهذا الأمر الغريب.

فإذا قال القائل: ما أعلى الجبَلَ !، وما أبعد قمته !، و ما أصعب تصلقه!.

اقتضى ذلك أنه ناظر إلى جبل عالٍ، له قمة شاهقة، يصعب على كل أحد تصلقه والصعود فوقه، ولولا حضور هذا المنظر العجيب، وانفعال النفس به ما انطلق اللسان بألفاظ الدهشة والاستغراب المشعرة بما استقر في النفس من استعظام لهذا الأمر الحاضر المشاهد الغريب المثير هذا هو الأصل، وقد يتعجب من الأمر غير الحاضر بتنزيله منزلة الحاضر، ليستحضر المتكلم أمام عين المخاطب هذا الموقف ويصوره أمامه ليكون له أكبر الأثر في نفسه.

ومن ذلك قول السلطان مهددًا الباغي المتمادي في غية وفساده: **ما أقسى عقابك!، وما أكثر آهاتك وآلامك !، وما أشد صراخك !، وما أعظم العبرة فيك للناس!.**

والمتأمل تلك الأمثلة يلحظ أن الأمور المتعجب منها لم تحدث بعد، ولم تقع، ولكن لمَّا كان السلطان على يقين بشدة عقاب الباغي، وأنه واقع به لا

---

(١) ينظر حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك ٣/ ١٦، ١٧ دار الفكر، وينظر النحو الوافي ٣/ ٣٣٩.

محالة، أراد أن يستحضر هذا العقاب أمام عينه ليهدده ويحذره، فأنزل غير الحاضر منزلة الحاضر، وكأن العقاب واقع عليه أمام عين السلطان، والجنود ينكلون به، وهو يقاس ألوان العذاب، لا ينقطع تألمه وتأوهه وصراخه، وعندما رآه السلطان على تلك الحال تعجب منها لهولها وشدتها وفداحتها، ولا شك أن ذلك الصنيع أنجع في التهديد والوعيد، لأن تنزيل غير الحاضر هنا منزلة الحاضر كشف الأستار عن عين الباغي التي أعماها غطاء غية وفساده، فرأى مصيره الذي ينتظره، وتكشف له هول ما سيلاقي من عقاب، ولا شك أن ذلك أردع له وأزجر.

ومنه كذلك قول الوالد محفزًا ولده على الاجتهاد حتى ينجح ويتفوق:

ما أشدَّ فرحك بنجاحك، وما أجمل وقوفك مكرمًا بين زملائك، وما أحسن هدايا المهنئين لك، وما أعذب كلماتهم.

فكل تلك الأمور المتعجب منها لم تحدث بعد، لكنَّ الوالد يصور هذه المشاهد أمام عيني ولده وكأنها حاضرة، فإذا به فرح بنجاحه، واقف للتكريم وسط زملائه، وقد التفتَّ حوله المهنئون يمطرونه بالهدايا والكلمات العذاب، كل ذلك كي يحفز ولده، ويجعله يضع هذا الأمر نصب عينه لا يغيب عن خاطره، فيدفعه دفعًا إلى بذل كل جهده، ولا يدخر وسعًا ولا طاقة لديه من أجل الوصول إلى ذلك الهدف المنشود.

ومن ذلك أيضًا قول الله – عز وجل –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ

ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[1]

جاء التعجب من طول صبرهم على النار في قوله تعالى: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ) جزاء مكافئًا لشناعة جريمتهم بكتمانهم الكتاب الذي أنزل الله ليكون للناس شريعة ومنهاجًا، ومثل أولئك لابد أن يكون عقابهم أعظم ما يكون لأنهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، و يحولوا بين الخير والناس، معتقدين بمكرهم أنهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك.

وإذا تأملنا وعيد الله لهم في هذه الآية في قوله سبحانه: (أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ) لاحظنا الإطناب الذي جاء للتصعيد من نبرة التهديد المنبئ بعظم الجرم وفداحة الذنب وشناعته.

ثم جاء التعجيب في قوله سبحانه: (فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ) بتنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر، لأنه لما كان شأن التعجيب أن يكون ناشئًا عن مشاهدة صبرهم على العذاب، وهذا الأمر غير حاصل وقت نزول هذه الآية، بنى التعجيب على تنزيل غير الواقع منزلة الواقع لشدة استحضار السامع إياه بما وصف في الصفات الماضية، ولبيان أن العذاب واقع بهم لا محالة فصار كالحاضر المشاهد المرئي. [2]

(١) سورة البقرة الآيتان (١٧٤، ١٧٥).

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢/ ١٢٥.

ومنه أيضًا قول الله – تبارك وتعالى–:﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ * أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾(١)

جاء التعجيب في قوله تعالى:(أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ) من بلوغ حالهم في السوء مبلغًا عظيمًا، بحيث صار كل من رآهم يتعجب من طاقتهم على مشاهدة مناظره، وسماع مكارهه، أي ما أقدرهم على البصر والسمع لما يكرهونه.

وجاء التعجيب من حالهم في الآية ولم يقع العذاب عليهم بعد لتنزيله منزلة الواقع الحاضر؛ لأنه لما كان محققًا مؤكدًا نُزِّل منزلته، وليستحضر المخاطب هذا الموقف الرهيب، وكأنه يرى هؤلاء الأحزاب و الظالمين وهم يخوضون غمرات العذاب، ويتقلبون في النار و يذوقون ألوان الهوان، فيتعجبون من قدرتهم على رؤية هذا و سماعه لشدته وهوله وشناعته.

ومن ذلك أيضًا قول الرجل لمن يعظه وينصحه، وليس ثَمَّ ما يشاهده:

انظر ما يقاسيه فلان!

أو انظر إلى عاقبة فلان!

فالأمر (انظر) جاء للتعجب من حال المتحدث عنه، وليس المتحدث عنه موجودًا وقت التكلم، ولكن الناصح أنزله منزلة الحاضر للاعتبار والاتعاظ بما آل إليه حاله، فكأن أمره لشدته وفداحته قد بلغ درجة صار معها مشخصًا حاضرًا يمكن أن يراه كل أحد.

(١) سورة مريم الآيتان (٣٧، ٣٨).

ومنه أيضًا قول أبى الأسود الدؤلي:(١)

وترى اللبيب محسدًا لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم

حيث جاء الفعل (ترى) للتعجيب من ذلك الأمر الغريب، و لاستحضار تلك الهيئة الشنيعة، وادعاء أنها من الذيوع والشيوع بمكان حتى صارت مشاهدة مرئية، كما أن الفعل المضارع ساعد على استحضار الصورة، وزاد من تصويرها.

ولا شكَّ أن فعل الرؤية يلقي بظلاله على الشيء المتحدث عنه، و خاصة إذا كان غائبًا، فيجعله مصورًا مرئيًا، ويحضره أمام عين المخاطب ليدعي بذلك انكشافه وظهوره، أو رسوخه في عقل وفكر المتحدث.

لنا أن نتأمل قول زهير بن أبى سلمى:(٢)

تبصَّرْ خليلى هل ترى من ظعائنٍ تحمَّلنَ بالعلياءِ من فوقِ جُرثُمِ

بعد أن ذكر أنه وقف بالدار بعد عشرين حجة في قوله:(٣)

وقفت بها من بعد عشرين حِجَّةً فلأيًا عرفت الدار بعد توهُّمِ

جاء الأمر (تبصَّر خليلى) لينزل الأمر المتخيل منزلة المشاهد، فكأنه لشدة علقة القلب بهم، وشدة حضور ذلك المشهد في خاطره تصوره حاضرًا مشاهدًا واضحًا للعيان، ولم يكتفِ بذلك بل أمر خليله أن ينظر ويتبصر ليرى الظعائن وقد تحملن بالعلياء.

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٢/ ٤٢٥ مؤسسة المعارف – بيروت.

(٢) ديوان زهير بن أبى سلمى ص/ ١٠٣ شرحه وقدم له أ/ على حسن فاعور دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٣) المصدر السابق ص/ ١٠٣.

هذا، وقد جاء الأمر بفعل الرؤية (انظر) كثيرًا في القرآن الكريم تعجيبًا من الأمر المتحدث عنه لينزله منزلة الحاضر كي يستحضره المخاطب؛ ليكون أكثر تنبيهًا وإيقاظا له ومن ذلك:

قول الله – تبارك وتعالى –:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ *وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١)

في هذه الآيات يقصُّ الله – عز وجل – علينا قصة لوط – عليه السلام – مع قومه، وكيف حذرهم مغبة انغماسهم في فحشهم وضلالهم الذي بلغ حدًا لا مثيل له في القبح والشناعة، فما كان منهم إلا أنهم أخذوا يتآمرون لإخراجه من قريتهم؛ لإصرارهم على الاستمرار في الفحش و الرذيلة، وأرادوا أن يستريحوا منه لإنكاره عليهم ما هم فيه؛ لأن شان المنغمسين في الهوى والضلال كراهية ومقت أن يوجد بينهم من لا يشاركهم فسقهم وضلالهم، فلما لم تجد معهم النصيحة والإنذار أصابهم غضب الله بإمطارهم مطر العذاب فهلك القوم المسرفون.

وإذا تأملنا قول الله – عز وجل –: (فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ) نجد أن الأمر (انظر) مستعمل للتعجيب من حال هؤلاء القوم، وهو مستعار

(١) سورة الأعراف الآيات (٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤).

للتدبر والتفكر والتعقل [١]، حيث إن المراد التفكر والاعتبار بما حدث لقوم لوط، وإنما جاء الأمر بالنظر خاصة تنزيلاً للأمر المعقول منزلة الأمر المشاهد فكأنَّ هذه العبرة لشدة وضوحها، وكأن المخاطب لشدة علمه بها، وتحققه منها صارت عنده كالحاضرة المشاهدة يمكن أن يراها. [٢]

كما أن الأمر (انظر) موجه لكل من يتأتى منه التأمل والتدبر و التعقل في عواقب الإصرار على الفاحشة، وكأن عاقبة هؤلاء المفسدين بلغت الغاية في الوضوح والظهور بحيث صارت عبرة لكل معتبر. [٣]

ومثله كذلك قول الله – عز وجل –: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ * فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾[٤]

---

(١) استعارة تصريحية تبعية : حيث شبه التعقل والتدبر بالنظر بجامع شدة الإدراك في كل، ثم حذف المشبه، ثم استعير له لفظ المشبه به، ثم اشتق من النظر بمعنى التدبر، انظر بمعنى تدبر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

(٢) ينظر التحرير التنوير ٢٣٥/٧.

(٣) ينظر تفسير أبى السعود ٢٧٥/٦، ٣/ ٢٦٤.

(٤) سورة يونس الآيات (٧١، ٧٢، ٧٣).

بعد عرض قصة نوح – عليه السلام – مع قومه الذين لم يجدِ معهم النصح والإنذار الطويل، وما أصابهم جراء تكذيبهم وعتوهم وعنادهم من الهلاك والإغراق، جاء الخطاب للدعوة إلى التفكير والاعتبار بحالهم فقال سبحانه:﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ لِقَوۡمِهِۦ﴾ فنُزِّل خبرهم لوضوحه واليقين به منزلة الحاضر المشاهد [1]، وكأن هذا العقاب لفظاعته وهوله قد بلغ حدًا هائلاً وغاية يمكن معها أن يدعى حضوره وظهوره ورؤيته لكل أحد، ومن أجل ذلك تأمر مخاطبك أن ينظر إليه ليتعجب منه ومن خطورته.

ومنه أيضًا قول الله – عز وجل –: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ﴾[2]

حيث جاء الأمر بالنظر في تلك الآية للتعجيب من حال إعراض المشركين مع تكرار الآيات وتصريفها من أسلوب إلى أسلوب، مرَّة بالترهيب ومرَّة بالترغيب، ومرَّة بالتنبيه، وأخرى بالتذكير. [3]

وجاء الأمر بالنظر خاصة لتنزيل الأمر المعقول منزلة المشاهد حتى إن الناظر يستطيع أن يرى هذه الآيات وكأنها حاضرة لشدة وضوحها وظهورها،

(١) ينظر التحرير والتنوير ١١/ ٢٤٤.

(٢) سورة الأنعام آية (٤٦)

(٣) ينظر تفسير أبى السعود ٣/ ١٤٤.

فلا يمكنه إنكارها وردها والإعراض عنها، ومن ثمَّ كان إنكارها وإعراضها مع تكشفها وظهورها في غاية الغرابة، لذا جاء الأمر للتعجيب. (١)

ومنه كذلك قول الله – عز وجل –: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾(٢)

حيث جُعِل أمرا فترائهم الكذب على الله لشدة ظهوره ووضوحه وتحققه وقبحه كأنه مشخص حاضر مرئي ينظره الناس بأعينهم فيعجبون من قبحه وشناعته. (٣)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٧/ ٢٣٥.

(٢) سورة النساء الآيات (٤٩، ٥٠).

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٥/ ٨٥.

المبحث الخامس
خطاب من ليس بحاضر لتنزيله منزلته

الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان.(١)

ويسمى ضمير المتكلم والمخاطب ضمير الحضور، لأن صاحبه يكون حاضرًا وقت النطق به، ولذا يقول ابن مالك:(٢)

فما لذى غيبة أو حضور كأنت وهو وسمِّ بالضميرِ

فجعل الضمير قسمين ضمير غيبة وضمير حضور، ويقصد به ضمير المتكلم وضمير المخاطب. (٣)

فالخطاب لما كان يقتضي مراجعة الكلام بين المتحدث والمخاطب استلزم ذلك مخاطبًا معينًا حاضرًا مشاهدًا يوجه الكلام إليه.

هذا، وقد يخاطب غير المشاهد الحاضر لتنزيله منزلة الحاضر، ومن ذلك قول ابن زيدون:(٤)

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا

ويقول في بيت آخر من نفس القصيدة:(٥)

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا إن طالما غيَّر النأى المحبينا

---

(١) لسان العرب مادة : خطب.

(٢) حاشية الصبان ١/ ١٠٨.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٨.

(٤) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم ١/ ١١٦ دار العباد – بيروت.

(٥) المصدر السابق ١/ ١١٩.

فالشاعر هنا يتحرق شوقًا لولادة بنت المستكفى، ويبثها أحزانه وآلامه بسبب فراقها ونأيها عنه، وبالرغم من ذلك نراه يخاطبها خطاب الحاضر المشاهد في قوله: (بنتم، إليكم، نأيكم) وكأن الشاعر لا يريد أن يعترف ببعد محبوبته عنه، كما أراد أن يبين عن مدى قربها من قلبه وشدة تعلقه بها.

وها هو ذا جميل بثينة يقول:(١)

يا ليتني ألقى المنية بعدِكم إن كان يوم لقائكم لم يُقدَر
أو استطيع تجلدًا عن ذكركم فيفيق بعض صبابتي وتفكري
لو تعلمين بما أجن من الهوى لـ عذرت أو لظلمت إن لم تعذري

فجميل في هذه الأبيات يتمنى الموت ويدعو على نفسه به إن كان لم يقدر لقاؤه ببثينة، وبالرغم من بعادها عنه، والفراق بينهما نراه يحدثها ويخاطبها خطاب الحاضر المشاهد فقال:(بعدكم، لقائكم، ذكركم، تعلمين) فأنزلها منزلة الحاضر ليبين عن مدى تعلقه بها، واستحضاره لها في كل وقت، وأنها لا تغيب عن خاطره لحظة.

ومنه كذلك قول أبى فراس الحمدانى في رثاء جابر بن ناصر الدولة:(٢)

الفكر فيك مقصر الآمال والحرص بعدك غاية الجهال
لو كان يخلد بالفضائل فاضل وُصِلَتْ لك الآجال بالآجال
لو كنت تفدي لافدتك سراتنا بنفائس الأرواح والأموال

(١) شرح ديوان جميل بثينة ص/ ٢٤ شرحه وقدم له/ مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

(٢) ديوان أبى فراس الحمداني ص/ ١٤٢، ١٤٣ شرح وتقديم/ عباس عبد الستار دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

أو كان يدفع عنك بأسٌ أقبلت شرعًا تكدس بالقنا العال
أعزز على سادات قومك أن ترى فوق الفراش مقلب الأوصال

فبالرغم من أن أبا فراس الحمداني يرثي جابرًا إلا أننا رأيناه يخاطبه في قوله: (الفكر فيك، الحرص بعدك، وصلت لك، لافتدتك، يدفع عنك، قومك) وهو بذلك ينزله منزلة الحاضر المشاهد وكأنه يبثه آلامه وأحزانه لفراقه عنه.

ولا شك أن ذلك الصنيع يبين عن مدى الحرقة والألم بقلب الشاعر؛ لأن استحضار الفقيد مشعر بمرارة الفقد، وعظم الخطب؛ لأنه لا يريد أن يعترف بفقده له، وبعده عنه، فإن لم يستطيع أن يحضره بذاته أحضره في مخيلته علَّ هذا اللقاء يطفئ شيئا من حرارة الفقد.

ومنه أيضًا قول عبدة بن الطيب:(١)

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من غادرته غرض الردى إذا زار عن شحط بلادك سلما

فالشاعر يرثي قيس بن عاصم، ومع ذلك نراه يخاطبه، فأنزله منزلة الحاضر المشاهد، فكشف بهذا الصنيع عن نفس ظمأى إلى رؤية الفقيد يملؤها الحزن والأسى، إذ وجدناه يحدثه، ويلقى عليه السلام، ويحيه كما كان يفعل في حياته ليبين عن تلك النار التي بداخله.

ومن الأساليب التي تتطلب مخاطبًا حاضرًا مشاهدًا النداء، إذ يستلزم ذلك أن يكون المنادي في امتداد صوت المنادي، حتى إذا ناداه سمع نداءه.

(١) ديوان الحماسة لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى ص/ ٧٩ دققه/ محمد فوزي حمزة مكتب الآداب

ولذا عرف النداء بأنه: طلب الإقبال بحرف نائب منـاب أدعـو لفظـاً أو تقديرًا. (١)

هذا، وقد ينادي غير الحاضر الذي لا يصله صوت المنادي بحال تنـزيلاً له منزلة الحاضر، ومنه قول الشاعر. (٢)

أسكان نعمـان الأراك تيقنـوا بأنكم فـي ربع قلبـي سكانا

فنادى على أحبابه الذين يسكنون نعمان الأراك وكـأنهم أمامـه يحـدثهم ويحدثونه، ليبين عن حضورهم بقلبه، وشدة تعلقه بهم.

ومنه أيضًا قول جميل بثينة:(٣)

لما رأيت البين قلت لصاحبي صَدَعت مصدّعهةُ القلوب فؤادي

بانوا وغودر فـي الدّيـار متّيم كلف بذكـرك يا بثينة صاد

فنادى جميل على بثينة وخاطبها بقوله:(كلف بذكرك يا بثينة) ليومئ بهـذا التنزيل إلى شدة صبابته بها وأنه يراها حاضرة بقلبه وعقله لا تغيب عنه.

وهكذا الشعراء يجعلون شعرهم يتجاوز حـدود الزمـان والمكـان، فـلا يعترفون بالبعد، ولا بطول المسافات، ولا بانقطاع الحيـاة بـالموت، فتـراهم يخاطبون وينادون الغائبين والموتى وكأنهم حاضرون بينهم فيبثونهم خواطرهم وأشجانهم.

ومن ذلك قول الشريف الرضى في النسيب:(٤)

ياغائبـًا نقـض الـودادا أشمـتَ بـالقرب البعـادا

وتركتني والشوق يأ بـى أن يـروِّح لـي فـؤادا

(١) ينظر المطول ص/٤٣٠.
(٢) المصدر السابق ص/٤٣٠.
(٣) شرح ديوان جميل بثينة ص/٢٤.
(٤) ديوان الشريف الرضى ١/ ٣٨٧ دار صادر – بيروت.

فالشريف الرضى ينادي على محبوبه الغائب عنه، ويعاتبه ويلومه على ما فعله به، فأنزله منزلة الحاضر، وكأن هذا النداء صوت القلب الذي يرفض الاعتراف بغياب الحبيب وفرقه.

كما يحمل النداء أبعادًا أكثر لوعة وحرقة عند نداء الموتى الذين لا سبيل إلى الوصول لهم بحال، ولنا أن نتأمل قول الضبى يرثي ابنه:(١)

أأبيَّ لا تبعد وليس بخالد حيٌّ ومن تصِب المنونُ بعيدُ
أأبيَّ إن تصبح رهين قرارةٍ زلخ الجوانب قعرها ملحود
فلربَّ مكروبٍ كررت وراءه فمنعته وبنو أبيه شهود

فالشاعر ينادي ابنه الذي فارق الحياة بحرف النداء (الهمزة) الذي للقريب في قوله:(أأبيَّ) ليبين عن مدى تملكه لفؤاده ولُبِّه فكأنه حاضر مشاهد يستطيع أن يبثه أحزان الفراق وآلامه.(٢)

ومنه كذلك قول ابن عبدربه في الرثاء:(٣)

ياسيدي ومراح الروح في بدني هلاَّ دنا الموت مني حيث منك دنا
حتى يعود بنا في قعر مظلمة لَحْدٌ ويلبسنا في واحد كفنا
يا أطيب الناس روحًا ضمه بدن أستودع الله ذاك الروح والبدنا

(١) ديوان الحماسة ص/ ١٠٢

(٢) ينظر علوم البلاغة تأليف/ أحمد مصطفى المراغي ص/ ٨١ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٣) العقد الفريد لأبى عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي ٣/ ٢٠٩، ٢١٠ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

وكثيرًا ما يأتي الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لينزل غير الحاضر منزلة الحاضر لمعان مقصودة مرادة في الكلام، ولذا قيل:" إن جعلة (أنت) مكان (هو)، وأردت معنى (أنت) – وهو الخطاب – مشيرًا بهذا إلى تنزيل الغائب (هو) منزلة المخاطب إيذانًا بمعان هي وليدة الحضور الحسى أو المعنوى أو الاعتباري. " (١)

ولنا أن نتأمل قول جميل بثينة:(٢)

فلو كان لي بالصَّرم يا صاحِ طاقة صَرمت ولكنني عن الصَّرم أضعف

لها في سواد القلب بالحب ميعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف

وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر إلا كادت النفس تتلف

لنراه كيف يتحدث مع صاحبه عن محبوبته بالغيبة فقال (لها في سواد القلب بالحب ميعة)، ثم التفت إلى بثينة مخاطبًا لها بقوله:(وما ذكرتك النفس يا بثن مرة.)، لينزلها منزلة الحاضر، ليستعطفها، لأن من شأن الإنسان أن يرق قلبه لمن يستعطفه إذا رآه.

ومنه كذلك قوله في موضع آخر:(٣)

يقولون مسحور يجنُّ بذكرها وأقسم ما بي من جنون ولا سحرِ

وأقسم لا أنساك ما ذرَّ شارق وما هبَّ آلٌ من ملمَّعةٍ قفرِ

(١) ينظر أسرار الالتفات في الذكر الحكيم د/ إبراهيم داود ص/ ١٠٢ مكتبة الأمانة الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) شرح ديوان جميل بثينة ص/ ٥٣.

(٣) المصدر السابق ص/ ٤١

حيث جاء بالالتفات من الغيبة (بـذكرها) إلـى الخطـاب (لا أنسـاكِ) ليستحضرها ليقسم بين يديها على حبه لها؛ لأن من شأن الإنسـان أن يصـدق الحالف بين يديه فيما يدعيه.

ولنا أن نتأمل قول الله – عز وجل –:﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾[1]

حيث جاء (لقد جئتم) خطابًا للحاضر بعد قوله:(وقـالوا)، وهـو خطـاب للغائب لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجرأة علـى الله والتعـرض لسخطه، والتنبيه لهم على عظم ما قالوا كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديـه منكرًا عليهم مونجًا لهم. [2]

ومنه أيضًا قول الله – عز وجل –: ﴿ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾[3] حيث إن الكاف خطاب لمن كان من أصحاب اليمين على طريقة الالتفات، ومقتضى الظاهر أن يقال:فسلام له من أصحاب اليمين، فعدل إلى الخطاب لاستحضار تلك الحالة الشريفة، كما أن في الخطاب قربًا وإيناسًـا وتلطفًا. [4]

(١) سورة مريم الآيتان (٨٨، ٨٩).
(٢) ينظر المثل السائر ١/ ٤١٠.
(٣) سورة الواقعة الآيتان(٩٠، ٩١).
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٤٠.

المبحث السادس
تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر بطريق الحذف

الحذف إحدى طاقات اللغة، وقد يعمد إليه المتكلم لينزل غير الحاضر منزلة الحاضر، كي يستحضر الصورة أمام المخاطب، وذلك عن طريق حذف ما من شأنه أن يحول بين المتلقي واستحضاره للمشهد الغائب، وهو بهذا الصنيع يتحول بالكلام من طريقة السرد والقصِّ إلى التصوير والتخييل.

ومن ذلك قول الله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١)

ظلل الله – عز وجل – بني إسرائيل بجبل الطور، ورفعه فوقهم آية دالة على قدرته عليهم ليذعنوا ويؤمنوا، ولذا أمرهم سبحانه أن يتمسكوا بما جاءهم من آيات بينات، ويعملوا بجد ونشاط لا يلابسهم ضعف ولا وهن.

والمتأمل الآية يلحظ أنها بدأت بالحذف لتأخذ المخاطب إلى وقت الحدث كي يستحضر ما فيه بكل دقائقه وتفاصيله في قوله:(وإذ أخذا ميثاقكم)، فالظرف (إذ) في محل نصب بعامل مقدر وهو (اذكروا) وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها، لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني، ولأن الوقت مشتمل عليها، فإذا استحضر كانت حاضرة بكل تفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا. (٢)

---

(١) سورة البقرة آية (٦٣)

(٢) ينظر تفسير أبى السعود ١/ ٧٩.

وبعد أن انتقل المخاطب إلى زمن الحدث جاء استحضار مشهد رفع الجبل فوق رءوسهم، فجاء الخطاب لليهود قاطبة من حضر منهم ومن لم يحضر في (ميثاقكم) و (فوقكم) للتقريب أكثر من الحدث.

ثم جاء حذف فعل القول في قوله تعالى:(خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)، فتلك الجملة مقول لقول محذوف تقديره: قائلين لهم خذوا ما آتيناكم بقوة [1]، لتصوير الماضي بصورة الحاضر ليقع في نفس المخاطبين وكأنهم كانوا حاضرين حينئذٍ فيكونوا أكثرًا تذكرًا لها وعبرة بها.

ومثله أيضًا قول الله – تبارك وتعالى –:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[2]

يذكر الله – عز وجل – العرب في هذه الآية بنعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وهي أن جعل البيت الحرام مأمناً لهم في تلك البلاد التي يتخطف فيها الناس من كل جانب، ويذكرهم بما يجب عليهم تجاهه من القيام على خدمته وخدمة أهله من الحجاج والمعتمرين والعاكفين والقائمين والركع السجود.

وقد بدأت الآية بالحذف في (وإذ جعلنا) لتأخذ المخاطب إلى وقت الحدث ليستحضر ما فيه، ثم حذف القول في قوله تعالى:(وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى)

---

(١) ينظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين بن أحمد مصطفى درويش ١/ ١١٧ دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

(٢) سورة البقرة آية (١٢٥).

والتقدير: وقلنا اتخذوا، أو قائلين اتخذوا. [١] كي يستحضر ذهن التالي أو السامع المأمورين حاضرين و الأمر يوجه إليهم، فهو تصوير للماضي بصورة الحاضر ليقع في نفوس المخاطبين بالقرآن أن الأمر يتناولهم، وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم، لا أنه سرد لحكاية تاريخية.[٢]

ومثله قول الله – عز وجل –: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[٣]

حيث حذف العامل الناصب للظرف (إذ)، وجاء التعبير بالفعل المضارع (يرفع)، وعدل عن ذكر القول إلى نطق المتكلم بما قاله لاستحضار تلك الحالة، حتى كأن المتكلم هو صاحب القول.[٤]

ومن ذلك أيضًا قول الله ﷻ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[٥]

نرى في هذه الآيات ذلك المهرجان الحافل الذي يكرم فيه المؤمنون بتجمع شتاتهم، وتلاقي أحبابهم، ونرى البهجة باللقاء، والسلام والحركة الدائبة، واشتراك الملائكة في هذا التكريم.

واستطعنا أن ننتقل إلى قلب الحدث من خلال التعبير بالفعل المضارع (يدخلونها) إذ رأينا ذلك المشهد البهيج الذي ينعم فيه المؤمنون بدخول الجنان

---

(١) ينظر إعراب القرآن وبيانه ١/ ١٨٤.

(٢) ينظر تفسير المنار ١/ ٣٧٩.

(٣) سورة البقرة آية (١٢٧).

(٤)

(٥) سورة الرعد الآيتان (٢٣، ٢٤).

واستطعنا كذلك من خلال (واو المعية) في (ومن صلح) أن نرى من يصحبهم، إذ اقترن دخولهم مع دخول ذويهم حتى لا تتأخر فرحتهم، وينعمون من أول لحظة في دار الخلود.

واستطعنا كذلك من خلال حذف فعل القول لجملة (سلام عليكم بما صبرتم) أن نرى ونسمع الملائكة أطوافاً أطوافاً وهم يدخلون ويخرجون على أهل الجنة يسلمون عليهم تأنيسًا و تكريمًا لهم.

هذا، وقد جاءت آيات كثيرة ومتعددة في القرآن الكريم تستحضر لنا احتفاء الملائكة بالمؤمنين في الجنان عن طريق حذف القول وبقاء المقول لتنقلنا إلى روعة ذلك المشهد ومن ذلك قول الله – تبارك وتعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٢)

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ * فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٣)

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٤)

---

(١) سورة الحجر الآيتان (٤٥، ٤٦).

(٢) سورة الأنبياء الآيات (١٠١، ١٠٢، ١٠٣).

(٣) سورة الطور الآيات (١٧، ١٨، ١٩).

(٤) سورة الحديد آية (١٢).

وقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾[1]

حيث جاءت جملة (هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ اشْتَهَتْ، وجملة (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ اصْلَوْهَا)، وجملة: (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ)، و جملة: (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)، مقولات لأقوال محذوفة، فكل ذلك من كلام الملائكة للمؤمنين يوم القيامة تأنيسًا لهم وتبشيرًا وإبهاجًا واحتفاءً و احتفالاً بهم، وجاء الحذف في ذلك وأمثاله ليأخذ بذهن المؤمن وعقله وقلبه إلى فخامة وروعة ذلك الحدث، وكأنه حاضر أمامه يشهد ويرى الملائكة وهي تدخل وتخرج على المؤمنين يلقون عليهم السلام، ويحتفون بهم أيما احتفاء، ولا شك أن المؤمن إذا استحضر ذلك المشهد، وتصور روعته وعظمه كان أشد ما يكون رغبة فيه، وحرصًا عليه، وطلبًا له.

وكما كان الحذف وسيلة كي يستحضر السامع مشهد الاحتفاء بالمؤمنين في الجنان، كان وسيلة كذلك له كي يستحضر مشهد الإهانة والتعذيب للكافرين والمعاندين في النيران، ومن ذلك:

قول الله ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾[2]

(١) سورة الحاقة الآيات (٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤).

(٢) سورة الفرقان الآيات (١١، ١٢، ١٣، ١٤).

وقول الله – عز وجل –:﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ * طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ * كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾(١)

وقوله الله – عز وجل –: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾(٢)

حيث جاءت الجمل: (لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا)، و (خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ)، (ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ) مقولات لأقوال محذوفة، وجاءت كذلك كي يستحضر السامع هذه المشاهد وكأنها واقعة حاضرة أمام عينيه، فيرى إهانة وتعذيب المعاندين والكافرين، وما يذوقونه من صنوف الهوان فيكون أشد رهبة منها وحذرًا وبعدًا عنها؛ لأن الأمر كلما كان الإنسان متصورًا له، مدركًا لخطورته وشدته ورهبته كان أبعد ما يكون عنه.

(١) سورة الدخان الآيات (٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩).

(٢) سورة القمر الآيتان (٤٧، ٤٨).

الخاتمة

بعد هذه الرحلة بين مباحث هذا البحث التي حاول الباحث من خلالها بيان الطرق التي يأتي عليها تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر للتعرف عليها بقرب لتذوقها، وإدراك ما يكتنفها من دلالات وأسرار بلاغية، يمكن إجمال أهم نتائج البحث في النقاط التالية:

١- تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر إحدى طاقات تلك اللغة المبدعة التي تستطيع أن تنفذ إلى الماضي، وتقفز إلى المستقبل فتريك الخفي المستور بارزًا مشاهدًا.

٢- طرائق تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر متعددة في البلاغة العربية ولكل طريقة مذاقها وبلاغتها.

٣- تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر يساعد المخاطب على الاقتراب من الحدث اقتراباً شديداً، ومن ثمَّ يتكشف له، ويقع في نفسه موقعًا بالغًا.

٤- يحسن تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر عند ما يكون الحدث عجيبًا رهيبًا أو مثيرًا غريبًا، أو مستنكرًا شنيعًا.

٥- تنزيل غير الحاضر مزلة الحاضر يبين عن رؤية المتكلم ومدى سيطرة الغائب على قلبه وعقله.

٦- تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر ينفذ إلى نفس المخاطب، ويقع منها موقعًا حسنًا، ومن ثمَّ تكون أكثر رغبة إليه أو رهبة منه.

وبعد: فإني أسأل الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل ودراسة هذا الموضوع، كما أسأله – جل شأنه – ان يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما اسأله – سبحانه – الخير كل الخيـــر لآبائنـــا، وأمهاتنـــا، وإخواننـــا، وأخواتنا، وأساتذتنا، ومعلمينا، ومشايخنا، وأزواجنا وذرياتنا، وجميع من لهـــم حق علينا، والمسلمين، والمسلمات إنه سميع قريب مجيب.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم

فهرس المصادر والمراجع

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود لأبى السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- أسرار البلاغة، تأليف الشيخ/ أبى بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي – قرأه وعلق عليه/ أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني – بالقاهرة – الطبعة الأولى١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٣- أسرار الالتفات في الذكر الحكيم– الدكتور/ إبراهيم على حسن داود مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤- الأطوال شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلامة/ إبراهيم بن محمد بن عربشاة عصام الدين الحنفي، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي–دار الكتب العلمية بيروت– الطبعة الأولى١٤٢٢هـ/ ٢٠١م.

٥- إعراب القرآن وبيانه المؤلف/ محي الدين بن أحمد مصطفى درويش دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سوريا، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف/ جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ومعه/ مصباح السالك إلى أوضح المسالك تأليف/ بركات يوسف هبود راجع الكتاب وصححه ووضع فهارسه/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر – بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٧- البحر المحيط لأبى حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان بن أثير الدين الأندلسي المحقق/ صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ

٨- التبيان في إعراب القرآن لأبى البقاء عبد الله بن الحسن العكبري دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩- التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون– تونس.

١٠- تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار المؤلف/ محمد رشيد بن على بن رضا محمد شمس الدين بهاء الدين بن منلا على خليفة القلمونى الحسيني الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١- جمهرة أشعار العرب المؤلف/ أبو زيد محمد بن أبى الخطاب القرشي حققه وضبطه وزاد في شرحه/ على محمد البجاوي نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٢- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي مؤسسة المعارف – بيروت

١٣- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك لمحمد بن مصطفى بن حسن الخضري الشافعي شرحها وعلق عليها/ تركى فرحان مصطفى دار الكتب العلمية – بيروت.

١٤- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسماة/ عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي المؤلف/ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي دار صادر – بيروت.

١٥- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك دار الفكر.

١٦- خصائص التراكيب د/ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٧- ديوان أبى فراس الحمداني شرح وتقديم/ عباس عبد الستار دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

١٨- ديوان امرئ القيس ضبطه وصححه الأستاذ/ مصطفى عبد الشافي شرح/ حسن السندوبى دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.

١٩- ديوان الحماسة لأبى تمام حبيب بن أوس الطائى دققه/ محمد فوزي حمزة مكتبة الآداب.

٢٠- ديوان زهير بن أبى سلمى شرحه وقدم له أ/ على حسن فاعور دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢١- ديوان الشريف الرضى دار صادر – بيروت.

٢٢- ديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور/ ناصر الدين الأسد دار صادر – بيروت.

٢٣- ديوان النابغة الذبيانى شرح وتعليق/ عباس عبد الستار دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٢٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام السنترينى تحقيق د/ إحسان عباس الدار العربية للكتاب – تونس الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٢٥- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمام/ شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى.

إعداد/ محمد على سمك دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٦- شرح ديوان جميل شرحه وقدم له/ مهدى محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٧٨م.

٢٧- الشعر والشعراء لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ.

٢٨- صحيح مسلم المؤلف/ مسلم بن الحجاج الحسن القشيري النيسابوري تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ/ بهاء الدين أبى حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٠- العقد الفريد لأبى عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٣١- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للشيخ/ أحمد بن يوسف عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبى تحقيق/ محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٢- علوم البلاغة تأليف/ أحمد مصطفى المراغى دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف/ أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه/ محمد فؤاد عبد الباقي دار المعرفة – بيروت.

٣٤- الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد أبو العباس تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٣٥- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل وهو تفسير القرآن الكريم للإمام/ جار الله محمود بن عمر الزمخشري مكتب الإعلام الإسلامي – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٦- لسان العرب لابن منظور دار المعارف.

٣٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف/ ضياء الدين نصر الله بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزرى حققه وعلق عليه الشيخ/ كامل محمد محمد عويضه دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٨- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبى الفتح عثمان بن جني الموصلي وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبعة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٩- المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة إبراهيم مصطفى و أحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار دار الدعوة.

٤٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري حققه الدكتور/ مازن المبارك، و محمد على حمد الله راجعه/ سعيد الأفغانى دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤١- مفتاح العلوم المؤلف/ يوسف أبى بكر بن محمد بن على السكاكى الخوارزمى الحنفي أبو يعقوب تحقيق/ نعيم زرزور– دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٢- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهان تحقيق/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة – بيروت.

٤٣- المفضليات المؤلف/ المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف – القاهرة.

٤٤- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح تأليف/ أبى العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن يعقوب المغربي تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م/ ١٤٢٤هـ.

٤٥- النحو الوافي لعباس حسن دار المعارف الطبعة الحادية عشرة.

٤٦- نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم دار العباد – بيروت.

٤٧- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعي دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

٤٨- النهي المراد منه النهي عن لازمه ودلالته البلاغية للدكتور/ لطفي خالد محمود الجوهري حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية العدد الرابع ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
التمهيد	
وقفة مع عنوان البحث.	
المبحث الأول: التعبير بالفعل المضارع عما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.	
المبحث الثاني: التعبير بالوصف المشتق الصالح للدلالة على زمن الحال الحاضر فيما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.	
المبحث الثالث: الإشارة إلى ما ليس بحاضر لتنزيله منزلته	
المبحث الرابع: التعجب أو التعجيب مما ليس بحاضر لتنزيله منزلته.	
المبحث الخامس: خطاب من ليس بحاضر لتنزيله منزلته.	
المبحث السادس: تنزيل غير الحاضر منزلة الحاضر بطريق الحذف.	
الخاتمة	
فهرس المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	